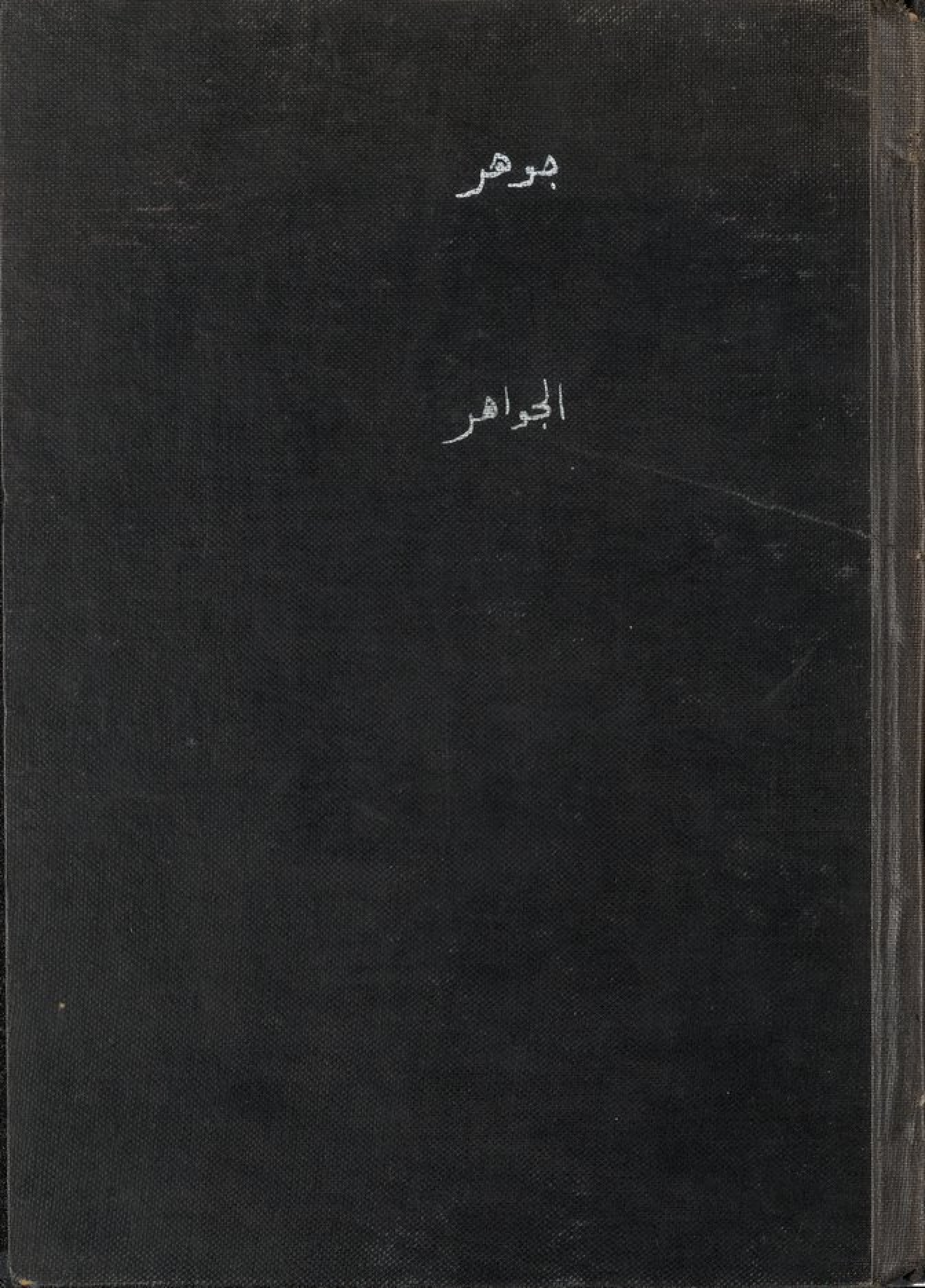
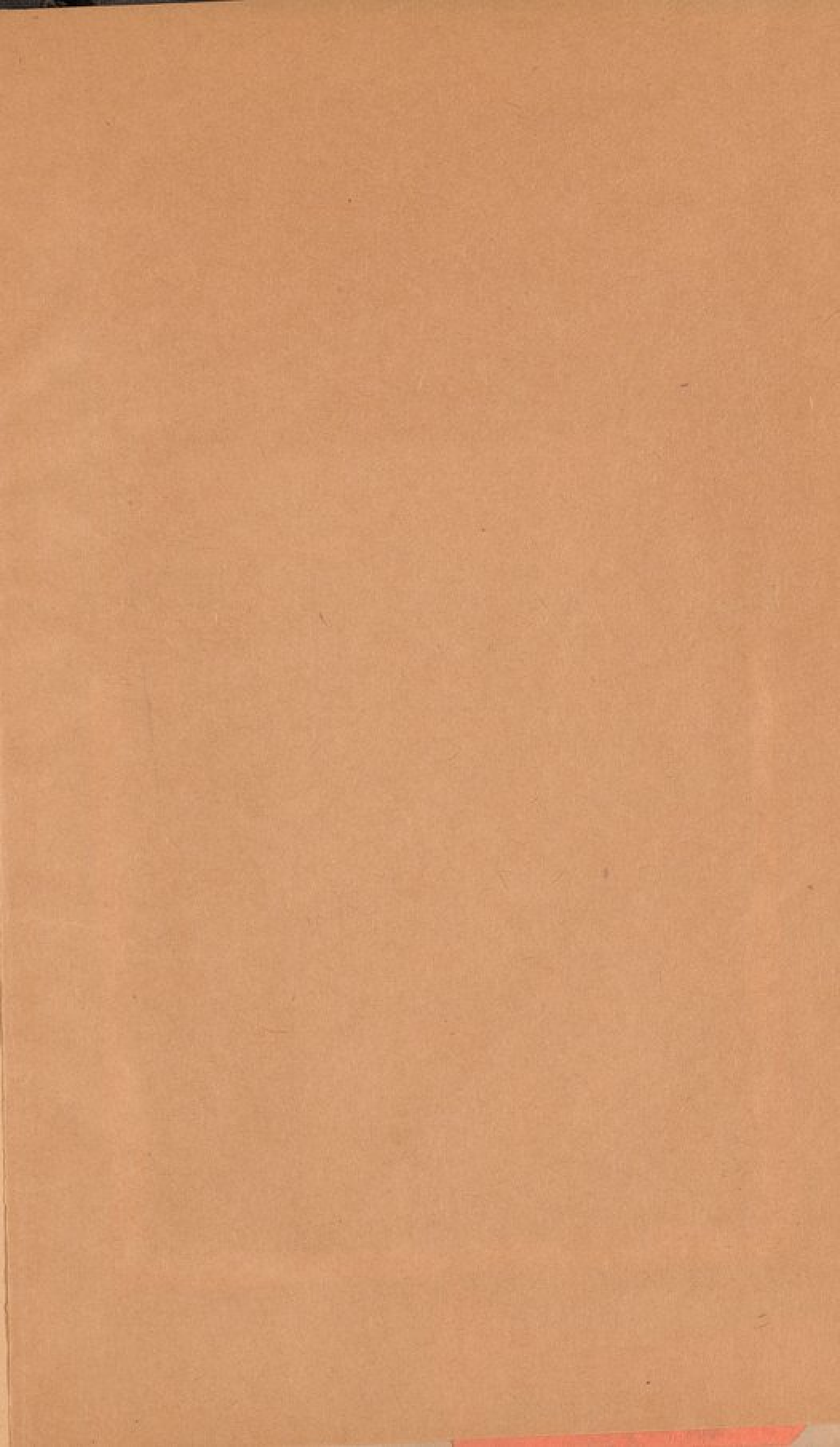

جوهر
الجواهر









مجموعة مقالات متنوعة

بقلم

جبر جوهر

منشئ جريدة العيون

طرابلس — لبنان

سنة ١٩٣٣

ثمن النسخة ليرة سورية

مطبعة اللواء * طرابلس * شارع اللواء

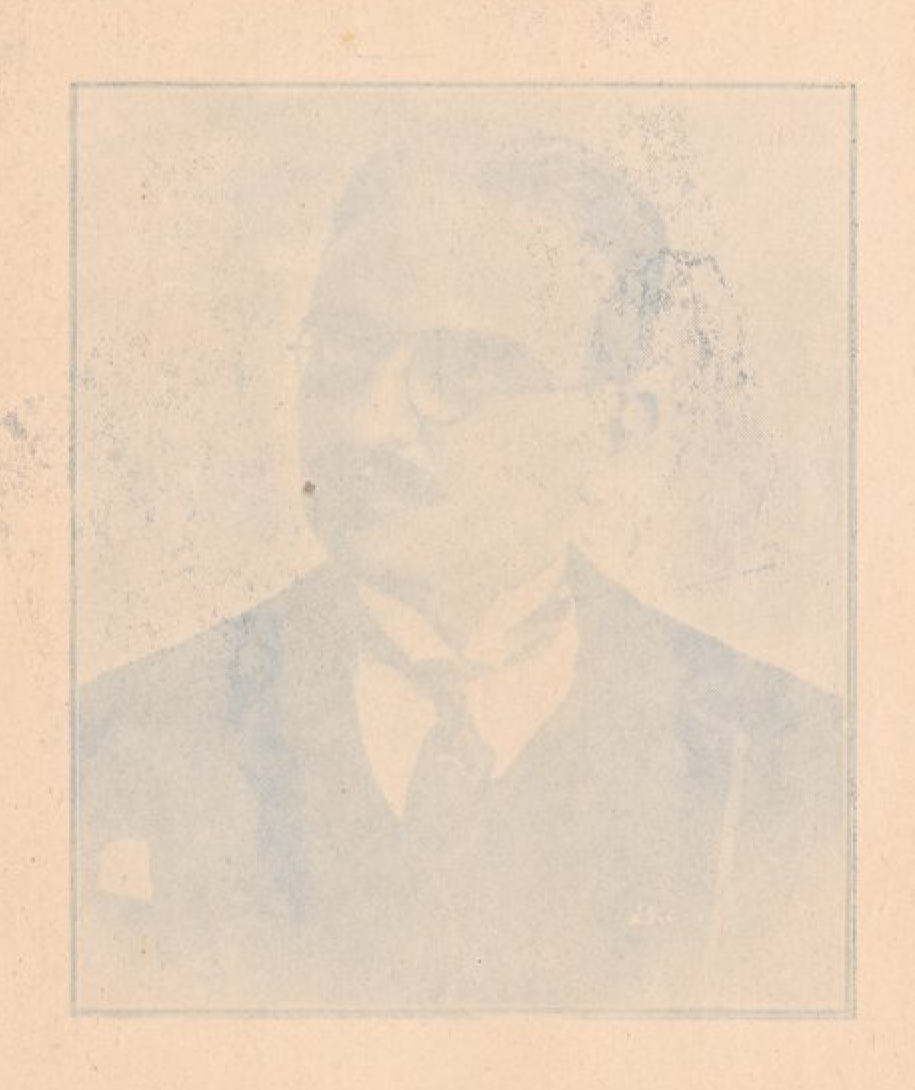




فخامة الاستاذ شارل دباس

رئيس الحكومة اللبنانية ورافع لواء الاصلاح

والعدل في جميع انحاء لبنان



اهداء الكتاب

الى رجل النزاهة والتجرد والعدل

سعادة كامل بك حميه

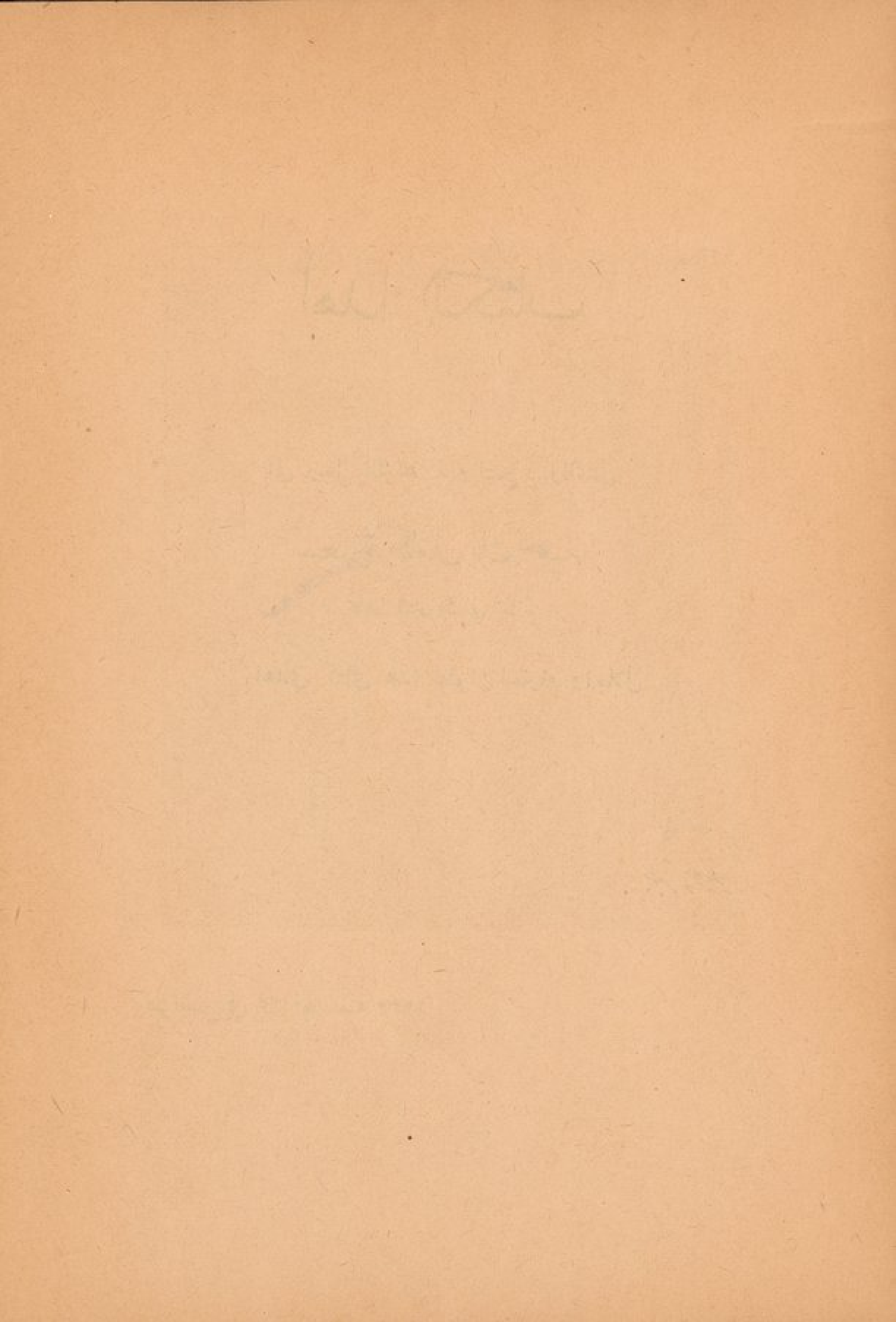
محافظ لبنان الشمالي الحازم

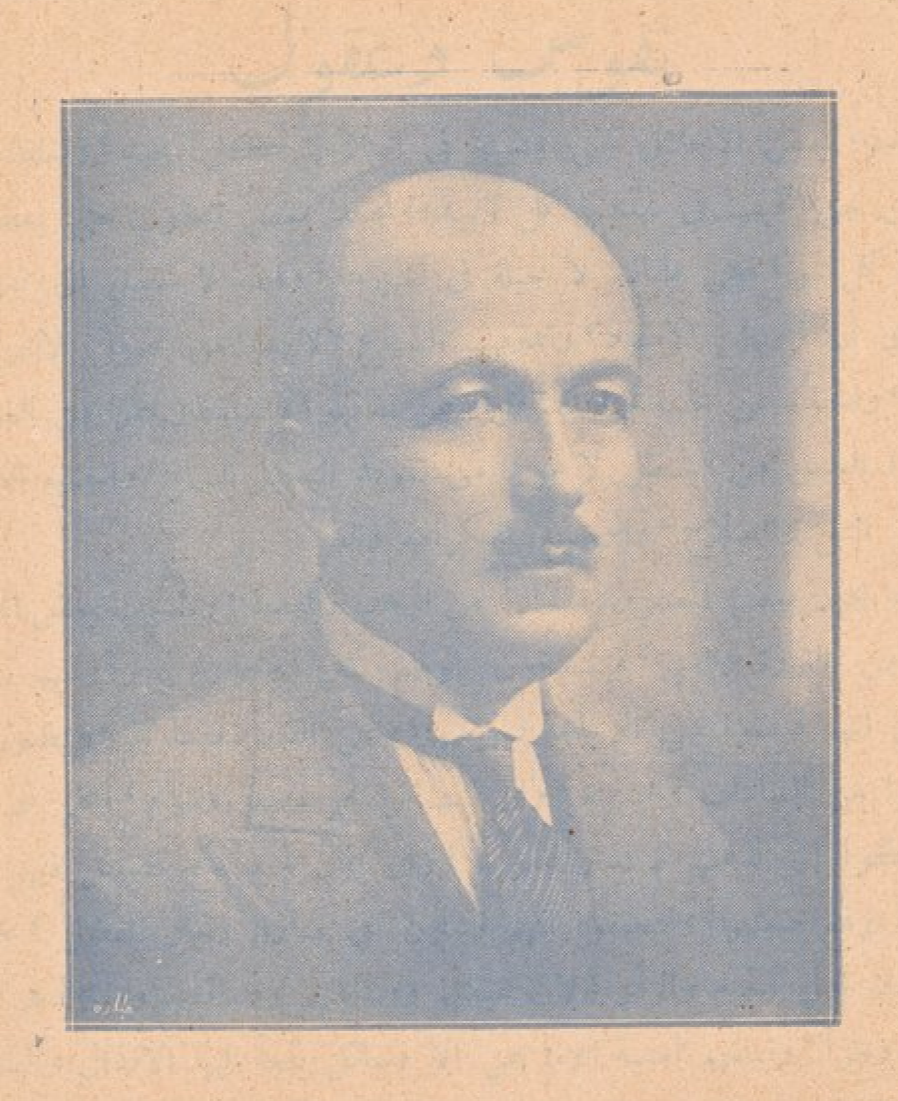
اهدي كتابي هذا عنوان احترام واجلال

المؤلف

جبر جوهر

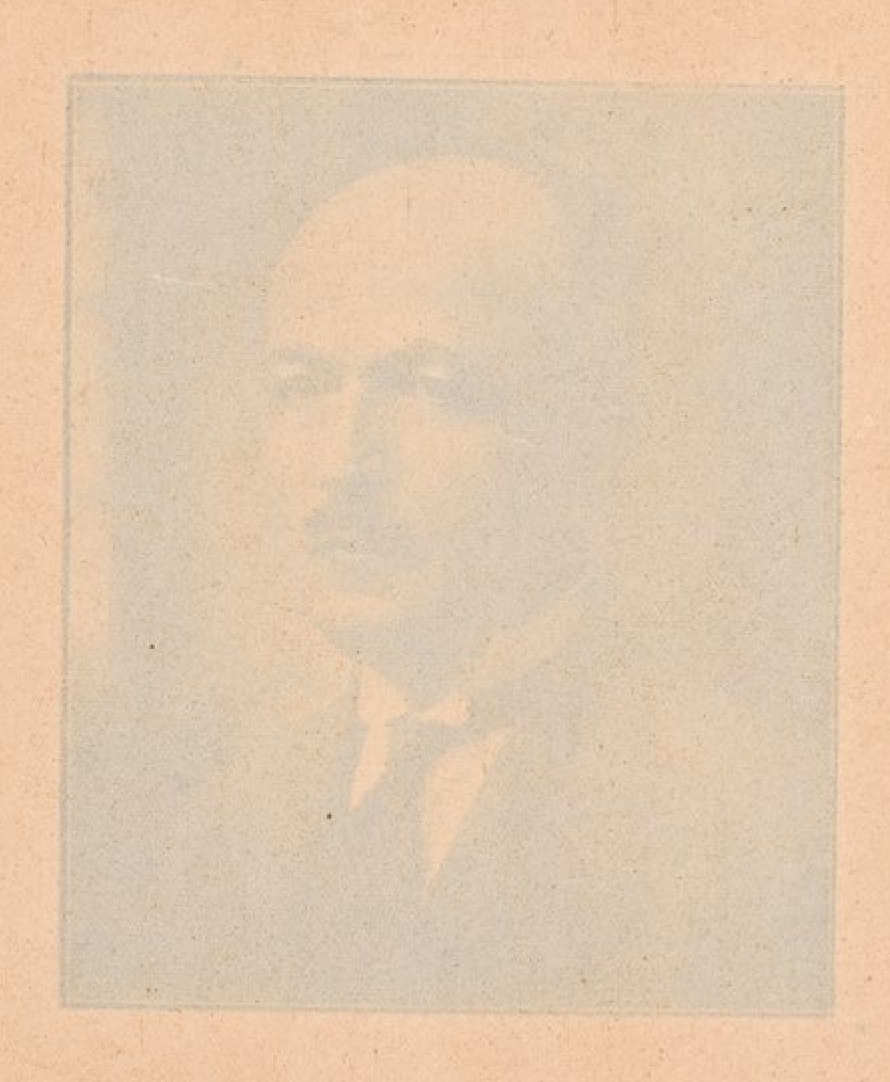
طرابلس في ١٥ ايار سنة ١٩٣٣





سعادة كامل بك حميه

محافظ لبنان الشمالي المحبوب



نفوس وعقول

تسوء بعض الاخلاق حتى يضيع في اصلاحها كل جهد ؛ وتغلظ بعض النفوس حتى تخيب في تهذيبها كل تربية ؛ وتجمد بعض العقول حتى يعجز عن تناولها كل نمو ؛ فهي طبائع لا حيلة في تغييرها ؛ وفطر لا سبيل الى تبديلها ؛ ولعمري ان ترويض الاسود ، وتدريب السباع ، لأيسر من تحويل الاشرار عن شرهم ، والحسد عن حسدهم ؛ والمنافقين عن نفاقهم ؛ واستقطار الخمر من العوسج ، واجتناء العسل من الحنظل لأهون من تعويد البخيل السماح ؛ والجشع القناعة ؛ والفاجر التقى والصلاح ، والوضيع الكرامة والعز .

قد يحرز بعض المعسرين مقداراً من الذهب والفضة ، ويصيب بعض المدقعين قسطاً من الثروة والغنى ؛ فيشمخون بانوفهم كبراً ؛ ويطاولون برؤوسهم زهواً ، حاسبين انهم قبضوا على الوجاهة بيمينهم ؛ وعلى الشهرة بيسارهم ، ويظنون انهم اصبحوا من السادات والسراة ؛ وان النـاس لهم عبيد وخدم ، وهم لو عقلوا لادركوا ان الذهب لم يستر عيوبهم ؛ وان المال لم يبتدع فضائل فيهم ، وان الغنى لم يرفع ضعتهم ؛ ولتحققوا انهم فاشلون في مباراة رجال الفضل ؛ مخفقون في مماشاة اولي الحزم والرأي ؛ لان غيبتهم ووشاياتهم ودسائسهم ومكائدهم ليست لتنيلهم وطراً ، وتبلغهم امنية ؛ وما هي الا وسائل يلجأ اليها الانذال والضعفاء ؛ ومثل هؤلاء لا يقام لهم وزن ؛ ولا تراعى لهم كرامة ، ولا ينظر لهم بعين التكريم والاعتبار

ولقد دعانا الى قول هذه الكلمة ما نراه من اعتزاز بعض المتمولين باموالهم وافتخارهم بقصورهم ؛ وما نشاهده من احتقارهم لسواهم ، ممن فاتهم الغنى ولم يفتهم الشرف ؛ وعدمتهم الثروة ولم تعدمهم الوجاهة ؛ في حين ان اولئك الاغنياء

لم يبسطوا يوماً للاسعاف كفاً ؛ ولم يمدوا للاحسان يداً ؛ ولا استنصروا في الملمات فنصروا ، ولا استجير بهم في النوائب فاجاروا ؛ فاي داع اذاً للمباهاة والافتخار واي موجب للاعتزاز والانتفاخ ؟

افيحسبون ان انغماسهم في حمأة الرذيلة ؛ واندفاعهم وراء الشهوات ، واسترسالهم في المعاصي شرفاً لهم وفخراً ، وان اعتداءاتهم على الاعراض ، وانتهاكهم لحرمات الآخرين ؛ اوسمة تزين صدورهم ؛ واكاليل تتوج رؤوسهم ؟

ام يظنون ان سعيهم وراء المادة ؛ وتدافعهم لاقتناص الربح بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة ؛ جهاد يطوبون لاجله وبطولة يمدحون عليها ؟

ان هذا وايم الحق لغاية الحمق والرقاعة ومنتهى الخسة والضلال

ان الشرف كل الشرف في اعتناق الفضيلة وممارسة اعمال البر ؛ والفخر كل الفخر باتباع الحق والمبدأ القويم ، والثبات في نصرتهما وتأييدهما .

بمثل هذا فليباه المباهون ويعتز المعتزون .

في ١٦ ايار سنة ١٩٣١

لا غنى الا غنى النفس

ليست السعادة في الغنى او الجاه او السؤدد وانما هي في الاستقلال الشخصي وراحة الضمير

مهما علا المرء رتبة ، وسما قدراً ، وطال باعاً وامتد نفوذاً ؛ ومهما اقتنى من الاموال وحاز من النعم ، وكان مضطرب الوجدان ؛ اسير النفس ؛ فهو جد بعيد عن السعادة ؛ تلك الضالة السحرية التي ينشدها ابناء البشر جميعاً على السواء .

ومهما تراكم عليه من الاثقال ؛ وساوره من المتاعب ؛ وتوالى عليه من الخطوب ؛ ومهما قصرت يده ، وفرغت جيبه ، ورثت حاله ؛ وكان مرتاح الضمير طلق الروح ؛

فهو ادنى الى السعادة من سواه والصق بها من غيره .

ولقد تشاهد بعضهم يرفلون بابهى الحلل ويستمتعون باصناف البذخ والترف ، ويتقلبون بالمراكز العالية والرتب الرفيعة ، ويباهون بالزعامة الموهومة والوجاهة الكاذبة ؛ فتحسبهم سعداء مغبطاً اياهم ، ولو تمكنت من النظر الى حقيقة نفوسهم وتلمس ما في دواخلهم ؛ لاشفقت عليهم ورثيت لهم ، لانهم تعساء يعيشون بنفوس مستعبدة ؛ وقلوب سقيمة وضمائر متعبة ، ولم يكن الاستعباد يوماً من دواعي الاغتباط والاعتزاز ؛ وانما هو ضرب من ضروب الموت المشين والفناء المذل .

ولقد ترى البعض الآخر يعانون شظف العيش ويكابدون الحرمان ؛ فيخطرون بالاسمال ، ويقنعون باللقمة الجافة ، فتشيح بوجهك عنهم احتقاراً او اشمئزازاً ، ويدركك عليهم الاشفاق توهماً منك بانهم مستغرقون في التعاسة ؛ رازحون تحت الاوصاب ، ولكنك اذا كشفت عن صدورهم ، وتغلغلت الى نفوسهم لتجسمت اليك الطمأنينة باوفى معانيها ؛ وتمثلت امامك العزة باروع مجاليها ؛ اذ يخفق في تلك الصدور الرحبة قلوب كبيرة ممتلئة ثقة وايماناً ، وتختلج نفوس حرة وتعيش ضمائر حية .

ان الخنوع والاستسلام يقودان الى حياة العبودية الذميمة ، والارتكاب والخيانة يجران الى الموت الادبي والاخلاقي ، ومن يتعود هذه الحياة حياة العبودية والخنوع يسهل لديه تحمل هوانها وربما عذبت عنده فيغتر بحلاوتها ويزهو بذلها ؛ فيشمخ ويتكبر وينتفخ ، ولو عقل لاحتجب عن العيون ، ولوأد نفسه خوف الفضيحة والمذلة .

ان النزاهة المقرونة بالوفاء والاخلاص ، من اهم البواعث على الراحة الداخلية التي لا يحس بها غير الابرياء المترفعين عن الدنايا والصغائر ، ولا يشعر بها الا الاحرار الذين تقصر الاضطهادات والضيقات عن غزو نفوسهم واسترقاق عواطفهم

لا غنى الا غنى النفس ؛ ولا راحة الا راحة الضمير ؛ ولا سعادة الا في الاستقلال والطمأنينة .

٢٤ حزيران سنة ١٩٣٢

المبادیء غير الاشخاص

نحن مع الرجل ما اعتصم بالحق وابتعد عن الاذية والضر ؛ نعضده ونذب عنه ؛ حتى اذا اعتنق الباطل وسلك طريق الاثم ؛ اصليناه حرباً عواناً ، وامطرناه وابلا من النقمة ؛ لا يصدنا عنه عهد وفاق مضى ؛ او زمن ود انقضى ، فاذا كان هذا في عرف الانانيين تقلباً ، وفي شرع المنتفعين تذبذباً ، فنحن بحق متقلبون وبجد متذبذبون .

ولقد نعطف على شخص نتوسم فيه الاخلاص ونتفاءل فيه الخير ، فننتشله من خموله ؛ ونعرفه الى الناس حتى اذا لهجوا باسمه وكادوا يضعون ثقتهم فيه ، انتفخ وازدهى ، وجال وصال ، ظاناً انه قبض على اعنة الوجاهة وامسك بناصية الزعامة ؛ فيرفع علينا عقبه ويتناسى افضالنا عليه ، ويغتابنا ويكيد لنا ، حتى نضطر الى ايقافه عند حده وارجاعه عن غروره ؛ فاذا كانت غضبتنا للاباء وثورتنا للشمم ؛ عند ناكري الجميل وجاحدي الفضل ، تقلباً وتذبذباً ؛ فنحن بكل فخر كذلك .

ولقد نساير حزباً من الاحزاب ونؤيد رجاله مدافعين عنه بهمة لا تعرف الكلل وعزم لا ينتابه الخور ، فنرهن قلمنا لنصرته وجريدتنا لتأييده ، آملين ان يعمل لخير العموم ومنفعة الوطن ؛ حتى اذا سولت نفوس المتنفذين من اعضائه ، استثماره لملء جيوبهم واشباع مطامعهم بطرق شريفة وغير شريفة ؛ لا فرق اجاءت الفائدة من باب الرشوة او السمسرة او الارتكاب ، قلبنا له ظهر المجن ؛ وحاربناه بكل ما لدينا من القوى ، فاذا كان هذا عند المتحزبين تقلباً

وتذبذباً فان لنا بتقلبنا وتذبذبنا هذين كل الشرف وغاية المباهاة .

العقائد تتغلغل الى صميم القلب ؛ فلا يمكن ان تتغير ، والمبادىء تخترق النفس الى اعماقها فلا يتسنى ان تنفك عنها ؛ واما الاشخاص الذين نخاصهم الود فيكدرونه ؛ ونصارحهم فيخدعوننا ، ونحسن اليهم فيسيؤون الينا وننصرهم فيخذلوننا ؛ فهؤلاء ليسوا في العير ولا النفير ؛ وهم اشبه بثوب غير نظيف يحسن بنا ان نطرحه عنا غير مأسوف عليه ، وما زالت عقيدتنا بالله والوطن لا تتزعزع وما دمنا بعيدين عن الاتجار بالدين والاشتغال بالسمسرة ؛ والدس على الاصدقاء ؛ والايقاع بهم ؛ فنحن سنبقى كما كنا قبلا وكما نحن الآن ناصعي الجبين ؛ طاهري الذمة ؛ فاذا كان هذا في اعين التجار والسماسرة والدساسين تقلباً وتذبذباً ؛ فرحى للتقلب ومرحى للتذبذب .

كثيرون يغوصون في الاوحال ويتخبطون في الحمآت ثم لا يخجلون ان يصموا بالقذارة من هم انظف منهم ثوباً ، وانقى سراً وسريرة ، وكثيرون يلتوون على الحق ، وينقلبون على كل فضيلة ، ويتجاسرون ان يتشدقوا مباهين بشرهم ؛ مفتخرين باثمهم ؛ فاذا كنا لدى هؤلاء بانتقاضنا عليهم وابتعادنا عنهم متقلبين ومتذبذبين ، فليكن التقلب مغبوطاً والتذبذب محموداً فنحن متقلبون ومتذبذبون ...

٢٤ تموز سنة ١٩٣٢

الآداب العمومية في خطر

لنترك السياسة جانباً ؛ ولنحول بحثنا شطر ناحية اخرى ، اكثر التصاقاً بالمجموع وابعد اثراً في سيره وفي مصيره

لقد طغى سيل الفساد وطمى عرام الفسق ، فانتشرت الدعارة وزادت الجرائم المنبعثة عنها . فكم روح تزهق ، ورأس يقطع ، وصدر يمزق ، وكم فضيلة تثلم ، وشرف يداس ،

وعفاف ينتهك ، وكم بيت يهدم ؛ وقصر يقوض ؛ وعائلة تشتت ، في سبيل اللذة الدنيئة والسرور الكاذب والسعادة الموهومة . ولنا في كل يوم حادث او اكثر من مثل هذه الحوادث المؤلمة ؛ التي لوفرة ما تتردد على المسامع ؛ اصبح الناس يمرون بها بدون ان تستفز عواطفهم غضباً للعرض المسلوب ؛ ونفرة من الغاصب السافل او الغاوي الدنيء ؛ ورحمة بالعذارى المنخدعات ، والزوجات المغريات والنساء المحمولات بالارهاب ، او العطاء او اتقاء الجوع ؛ لهذه الحمأة القذرة التي تتسع دائرتها رويداً رويداً ، وتهدد موجاتها النفوس الضعيفة بالاجتياح والتمثيل الرهيبين .

في المواخير نفر من بائعات الحب دفعن اليه دفعاً ؛ ولم يكنّ لتطأها اقدامهن لولم تضطرهم مظالم الرجال وطغيانهم للجوء اليها ؛ بعد ان نالوا منهن اوطارهم وقطفوا زهراتهن ثم انكروهن وتركوهن منقطعات بين وحوش الانسانية وضوارى البشرية ؛ عزالى من سلاح الطهارة والفضيلة ، فكن عرضة لانياب المفترسين وملهاة للعابثين ، وكن موضعاً للاشمئزاز والاحتقار وسوء الظن .

ان في تلك البيوت المكروهة فتيات لو تهيأ لهن من يطعمهن ويلبسهن ويعطف عليهن لكن ربات عائلات لهن ازواجهن واطفالهن ؛ ولهن عصمتهن وشرفهن .

ان المرأة التي يدفعها تيار الجوع او الحاجة او التجربة القاسية الى ذلك الدرك السافل من مراتب الحياة الاجتماعية هي اشرف بكثير من المرأة التي تغادر فراش زوجها وتترك اسرة اولادها لتلتحق بعشيقها منطرحة بين ذراعيه مستسلمة الى شهواتها ؛ حتى اذا استفاقت من جنونها وسكرتها ابصرت نفسها وحيدة لا مشفق عليها ولا نصير لها

اما الرجل الذي يهجر امرأته واولاده ليضم اليه امرأة على ذلك الشكل

فهو احط من الاثنين نفساً واضيع منهما شرفاً .

واما الرجل الغني ، وخصوصاً المتزوج ؛ فانه بخداعه للعذارى الفقيرات والبائسات ، وملاحقته لازواج الآخرين ، حسان كنّ ام قبيحات ؛ فهو اشر الجميع . هو عضو فاسد في الهيئة الاجتماعية يتعدى اثمه وشره ؛ ان لم يعالج بالاعتزال عنه ؛ الى كثير من الاعضاء السليمة ؛ وهو مع امثاله سبب ضرر للمجموع وضربة على آدابه واجتماعياته .

حدا بنا الى قول هذه الكلمة ، ما نشهده من مثل هذه المآسي ؛ وما نقرأ عنه في الجرائد السيارة ، فاذا لم تقف الحكومة بالمرصاد للذئاب الفاتكة ؛ واذا لم يصمد الناس لنـاهشي الاعراض ؛ ازداد الشر وعم البلاء ، وارتفع للفساد لواء عال ؛ يجب على اصحاب الشرف وانصار الفضيلة ؛ تنكيسه والاجهاز على حامليه .

٢٥ ت ٢ سنة ١٩٣٢

الاضطهاد والارهاق

لا يكمان الافواه ولا يخرسان الالسنة

جردوا في وجوهنا سيوف الجور وخناجر الطغيان ، وسددوا الى صدورنا سهام الفتك والانتقام ؛ فما نحن معشر الصحفيين بالجبناء الرعاديد ؛ وما نحن من عباد الحياة وعشاق الدنيا ، وانمـا نحن فئة من الناس ، لا تستغويها السخافات والبهرجات ؛ ولا ترهبها التهديدات او الاعتداءات ؛ وانما نحن مثل سائر الناس نموت مرة واحدة في العمر ؛ وان كنا نموت مراراً في كل يوم ؛ حزناً على الفضيلة المنثلمة والحق المزهوق والعدل المفقود .

ولئن عزت الحياة على ابنائها ، فليست عندنا سوى عرض يزول وظل يتقاص ،

وان طاب لغيرنا ان يعيش رافلا بالدمقس مثقلا بالذهب ؛ مغموراً بالنعم ؛ فان كلمة صدق نقولها ؛ وانتقاد اصلاح نوجهه ؛ وانتصاراً لبريء مظلوم على مستبد ظالم ، لغاية ما تقر به نفوسنا ويصفو له عيشنا وتخفق له قلوبنا سروراً واغتباطاً.

ما قيمة اقلامنا اذا لم نرهفها لمحاربة الشرور وتحطيم قيود العبودية ؟

وما شأن صحفنا اذا لم تحفل بتنشيط العاملين وتقريع المفسدين واظهار الغث من السمين ؟

انقتصر على تدبيج عبارات المديح والثناء ، وذكر المواليد والوفيات والتهنئات ، ام نلجأ الى الصرف والنحو ؛ فنحشو الحقول بقواعدها وجوازاتها وشواهدها ؟

هل نرى المأمور مهملا واجباته متهاوناً في ايفاء وظيفته ؛ فلا نندد به ولا نحمل عليه ، والامة التي تنفق عليه وعلى الجيوش الجرارة من اخوانه ؛ منكوبة في جيوبها ؛ مخيبة في آمالها متخوفة من مستقبلها ؟

هل نرى الاغنياء يستلبون فلوس الارامل والايتام ليضموها الى ذهبهم المكنوز ؛ والارامل والايتام تموت جوعاً وبرداً وقيظاً ؛ ونسكت عن تقريعهم ونتحاشى تكدير خواطرهم ، خشوعاً امام صناديقهم المقفلة ؛ وقلوبهم المتحجرة ؟

هل نرى الاقوياء ينشبون اظافرهم في جسوم الضعفاء ؛ يمزقون جلودهم ويستنزفون دماءهم ويقبضون ارواحهم مستنسرين مستبسلين ؛ ونقف مكتوفي الايدي لا نبدي ولا نعيد خوفاً من نقمة الناقمين وغضب الغاضبين ؟

هل نرى الفضيلة مضطهدة ؛ والرذيلة مسودة ، والخيانة مستفحلة ؛ والشر مستطيراً ؛ ونلزم الصمت حذر الاساءة الى الخائن والشرير والغاوي وخوفاً من بطشهم واذاتهم ؟

لا لعمري ان هذا لن يكون ولو ذقنا العذاب شكولا والاضطهاد الواناً ،

فاقلامنا لا تنفك تصفع الباطل وتقرع الاثم ، وصحفنا لا تني تناصر الحق وتعضد البريء سواء اسودت وجوه ام ابيضت ، واطمأنت قلوب ام ارتعشت ، وهذه دماؤنا نبذلها في خدمة الوطن والامة ، وارواحنا نضحيها في سبيل الاصلاح ، فمن لا ترضيه اعمالنا فليتقدم الينـا بخيله ورجله فما نحن اول شهداء للمبدأ والعقيدة ، وما نحن اول ضحايا الهمجية والوحشية ، واذا كانت الحكومة عاجزة عن حماية ارواحنا وصيانة سلامتنا ، واذا كانت محاكمها قاصرة عن معاقبة المعتدين على حريتنا الشخصية والفكرية التي ضمنها الدستور ، فاننا نرغم على الزود عن حياتنا وكرامتنا بانفسنا فنقرن الاقلام بالمدى او نسير وخلفنا وقدامنا من يستطيع الدفاع ويحسن الضرب عنا ، وهذا ما نعيذ بالحكومة ان تدفعنا الى هوته ، ونعيذ انفسنا من الالتجاء اليه .

نحن لا ندعي العصمة فيما نقول او فيما نكتب لاننا لسنا آلهة ولا انبياء ؛ ولكننا بشر نصيب ونخطىء ، فاذا اصبنا فليأخذوا باقوالنا ، واذا اخطأنا فليصلحوا اخطاءنا ، لان صدور صحفنا منفتحة لكل كلمة حق تقال ، حتى اذا ظهر لنا صوابية ما يردون به علينا ، كنا اول المنصاعين الى ما يقولون ، لان غايتنا الوحيدة هي خدمة الحقيقة لا مأرب شخصي لنا نسعى الى بلوغه ، ولا غرض ذاتي نجد لادراكه . اما ان نعبر عن آرائنا بصراحة ، ونعرب عن عقائدنا بافصاح ، وننقل ما يتصل بنا من الحوادث والانباء على علاته ، فينقمون علينا ويقدمون على قتلنا ، فهذا ممـا لا يصحح خطأ ولا يبين حقاً ولا يستر جريمة ، لانهم يحطمون قلما فتبرز اقلام ويعقدون لسانا فتنطلق السن ، ويقتلون صحيفة فتنشأ صحف ، لان العصر الذي كانت ترتكب فيه مثل هذه المنكرات ، وتستباح هذه الحرمات ، قد انقضى ؛ ونحن نعيش في عصر الحرية والنور ، عصر المدنية والثقافة ، ويستحيل ان تتغلب فيه العصي على الاقلام ، ويقوى الزعران على الادباء ، مهما اعتدوا ومهما فظعوا .

الاخلاص يتطلب تضحية

الجندي الذي لا يخوض المعركة، الا اذا كفلوا له سلامته، رعديد لا ينتفع به الوطن ولا تعول عليه الامة.

والصحافي الذي لا يستهدف للاضطهاد والارهاق، في نصرة الحق ومقاومة الرذيلة، دعي لا خير فيه ولا نفع منه.

يخطيء الذين يحسبون ان السجن يذل النفوس الحرة، ويفل العزائم الماضية ويلجم الاقلام المتمردة، كما يغلط الاولى يظنون ان الغنى بعد الفقر، والكبرياء بعد المسكنة، يرفعان النفوس الوضيعة، ويقومان الاخلاق المعوجة، وينعشان الضمائر الميتة.

ان الارهاق والاضطهاد كحجر المسن، يشحذان العزائم، ويقويان الثقة بالنفس، ويشجعان على البذل والتضحية، اما الرشوة فلا تسر غير القلوب الملتوية والنفوس الدنيئة، لان الحر لا تستهويه الغنائم، ولا تستميله المنافع، ولا يغرر به كلام التدليس وضروب الخداع.

رب سجين يرفل بالاصفاد، ابرأ من امير يسرح في قصر، ورب فقير رازح تحت اعباء الحاجة والبؤس، اغنى من مثر يذخر الكنوز ويتهادى في حلل النعمة.

ليست العبرة في الظواهر، لانها غرارة لا تنم عن الحقيقة الراهنة، فلرب اسمال تخفي تحتها فضيلة وعزة وشرفاً، ولرب معاطف تستر دونها خنوعاً وذلا وعهراً.

لقد تجد اميراً او حاكما او عظيما ينطلق في جنبات الارض حراً بين مظاهر التعظيم والتكريم، يعيش من ضميره المثقل بالجرائم والموبقات، في سجن ضيق تكتنفه الآلام والاوهام والضيقات، كما انك تلقى اسيراً محجوزاً عليه ضمن جدران اربع، يضام ويسام العذاب، يرتع من صفاء سريرته وراحة وجدانه في

نعيم مقيم وهناء دائم .

ان في سجون العالم من هم احرى بقيادة سفائن العالم من المتربعين في دسوت السلطة والحكم ،

وفي الاكواخ والسراديب والحجر الضيقة ، من هم اجدر بسكن القصور وتولي الامور ، من اولئك الذين يحتلونها بغير حق ، ويديرونها بغير معرفة ولا عدل .

ليس المرء بما يبديه من ضروب التأنق ، ويأتيه من انواع الغواية بل بما يظهره من التضحية لاجل الغير ومايبذله من الخدمة النصوح في سبيل الآخرين .

ليس الغنى على اطلاقه شرفاً ، بل ان من الاغنياء من يترفع عنهم اللصوص وقطاع الطرق ، لان هؤلاء يعرفهم الناس فيتحاشون شرهم ، اما اولئك فيسرقون الارامل والايتام وينهبون الضعفاء والمساكين ، تحت ستار الاتجار او الحماية او الارشاد .

في الاغنياء ايضاً من يثلم الاعراض وينتهك الحرمات ، وفيهم من يخدع ويغش ويرتكب الشرور والآثام ،

وفي الفقراء من يموت ولا يستجدي ، ويطوي على الطوى ولا يسأل ، وفيهم من لا يذل لمحتكم او يعنو لمتسلط ، ولا يبيع شرفه بالدراهم ، ولا يشري حياته بالعار والذل والخنوع

في الناس طبائع لا تتبدل ولا تتغير ، فمن خلق وضيعاً هيهات ان يكبر ولو اعطي مال قارون ، وحكم نيرون ، وفيهم من ينشأ كبيراً فلا يصغر ولو زج في اعماق السجون او احرق بالنار .

وفيهم من استولت عليه الخساسة والنذالة واللؤم ، فلا ينجع فيهم دواء ولا حيلة ، ومثل هؤلاء لا يلذ لهم غير الكيد والدس والتهويش ، ولا يطيب لهم غير الاستهزاء والشماتة بمن هم ارفع قدراً منهم واشرف محتداً واقوم مبداء ؟

فليس هؤلاء غير مسوخ تتجسم فيهم الدنايا والرذائل وما هم غير انصبة يغشاها الشر والفساد وقلة الحياء

ليس السجن، دفاعاً عن الفضيلة والشرف عاراً، بل العار كل العار في ان تمزق الفضيلة ويداس الشرف. ليس السجن، وفاء للاصحاب وعرفاناً للاقدار، عيباً وذلاً، بل العيب كل العيب والذل كل الذل في مناهضة الاوفياء الصادقين والشماتة بهم.

قال (ميشال انجلو) يوماً، يلذ لي النوم ويلذ لي ان لا اسمع ولا ابصر ما زال الشقاء والظلم مخيمين على الارض، واليوم يطيب للمرء ليس النوم فقط؛ لكي لا يسمع ولا يبصر، بل السجن والموت ما زال الطغاة يسيرون في طغيانهم؛ والاقوياء في مظالمهم، والمتشردون في ادعاءاتهم وشماتاتهم.

٩ شباط سنة ١٩٣٢

ليبدأ الاغنياء اولا

كان الناس قبل ان تعم الضائقة المالية جميع طبقاتهم على السواء، يخجلون من اظهار فقرهم وحاجتهم لا سيما الطبقة المتوسطة منهم، هذه الطبقة المظلومة التي تتحمل في سبيل المحافظة على مركزها اللائق اعظم المصاعب وتعاني اقسى التجارب.

اما اليوم وقد انتابت الازمة بشرها الجميع، كلا على مقدار رأسماله وبنسبة حاله، فلم يبق من سبيل الى الخجل والشكوى، ولم يعد الرجل المتوسط يستحي من ابداء عجزه، ما دام يرى بام عينه اصحاب الاملاك الواسعة والمتاجر الكبيرة يتوجعون ويبكون ويستغيثون.

لا نكران ان بعض اصحاب الذمم الواسعة والاخلاق السقيمة يتخذون من

مثل هذه الظروف سبباً لهضم حقوق الآخرين، والعبث بها معتذرين بالضائقة الحاضرة، وما هم منها بمتأثرين، ولكن مثل هؤلاء وان وجدوا، فليسوا سوى افراد قلائل شذوا باخلاقهم عن الناس، كما اختلفوا عنهم بظروفهم.

ان الضائقة موجودة وبصورة فظيعة فلا يمكن انكارها، ولكن هل نعد لها العدة الواقية لمحاربتها والانتصار عليها شعباً وحكومة، رجالا ونساء، اغنياء وفقراء؟

ان الحكومة وقد شعرت بما يعتور الامة من الضائقة، ونضوب الجيوب؛ قد عمدت ولو من ناحية واحدة لاجل التخفيف عنها، فتى عملت من نواح عديدة وصلت الى شيء مما تصبو اليه من الاقتصاد والاصلاح.

واما الشعب فانه متقاعس جداً عن اتخاذ التدابير الحكيمة التي تعينه على تذليل العقبات الكأداء التي تعترض سبيل رفاهيته ورغده، وما ذلك الا لضعف الارداة وجهل في اصول المعيشة واسباب الاقتصاد وسقم في العقيدة الوطنية.

ان الميل الى البذخ والاسراف ومعاطاة اللذة طبيعي في البشر، فلاجل الاقتصار عنها والقناعة بالعيش البسيط ولو موقتاً، يقتضي قوة ارادة وخصوصاً عند سيئي الادارة الذين يعجزون عن تطبيق طرق معيشتهم اليومية على مقدرة جيوبهم، فيأكلون المآكل الرخيصة المغذية ويلبسون الثياب البخسة الملائمة التي لا تتعارض مع قواعد الاقتصاد ولا تخالف اللياقة الاجتماعية.

هذا فيما يتعلق بالفقراء والمتوسطين، اما الاغنياء الذين لا تؤثر على ميزانيتهم نفقات الاكل والكسوة، فانهم يستطيعون ان يعطوا لمن دونهم غنى واقتداراً احسن قدوة في الاقتصاد والانصراف عن الكماليات، وبذلك، وهم يحرمون انفسهم بعض الزوائد في التأنق والترفه، يحسنون الى ابناء امتهم ويخدمون وطنهم. على ان هذه التضحية لا يؤديها الا من سمت اخلاقهم وتشبعت نفوسهم

بالمبـادىء الوطنية الحرة ونحن ، مع الاسف لا نرى في هذا الوطن الصغير لا جمهوراً ولا نفراً ممن ذكرنا .

نحن لا نرى في هذه البلاد غير انانية مجرمة ، ووطنية زائفة وطائفية عمياء ، نحن لا نرى غير تكالب على الربح الحرام وتدافع على النكاية والاضرار ، وتهافت على الانتقام والتزوير ، وتواثب على الكرامات والاعراض ، وتناهش بين الاخوان والاصدقاء ، فهل هذه صفات شعب يريد ان يأخذ مرتبته بين الشعوب وهل هذه ماتي امة تريد ان تضع رأسها بين الرؤوس ؟

نحن في حرب طاحنة يشنها علينا الدهر ، والافلاس من افتك المقذوفات التي يرمينا بها قوسه ، فيجب علينا ان نتدرع بالاقتصاد والشجاعة والتضحية والتضامن لرد غائلته ودفع اذاه والا مزقتنا شظاياه شر ممزق وانطرحنـا تحت اقدامه اشلاء دامية .

لقد مرت علينا اثناء الحرب العظمى مثل هذه الكأس المرة فشقينا وتعذبنا ولكننا لم نفقد الصبر ولا خسرنا الشجاعة لان تلك الضيقات كونت منا امة واحدة تعيش بقلب واحد وتحيي بروح واحدة ؛ فهل تفعل بنـا اليوم مصائبنا الحاضرة ما فعلت كوارث الحرب فينبثق منا امة واحده قوية بايمانها غنية بروحها جديدة بحريتها واستقلالها ؟

١٧ حزيران سنة ٩٣٢

ليس تقلباً ولا انحرافاً

ليس لنا احد سيداً ولسنا لاحد عبيداً ، نحن احرار ، نفسنا طليقة ، وافكارنا حرة ، وضميرنا لا يرتاح لغير كلمة الحق ، نقولها ولو اغضبت عمال الباطل ، وهيجت علينا غضب الملتوين ، ولنا قلم رهناه لخدمة الحقيقة وتنشيط العاملين الامناء في

خدمة الوطن والفضيلة والدين، فاذا ما لاح لنا عمل طيب ومأتى جميل حبذناه وعضدنا فاعله واثنينا عليه، واذا ما شممنا اعوجاجاً بادرنا الى تقويمه، لا بحد سيفنا، بل برأس قلمنا، واجرينا على المعوج انتقاداً شديداً نزيهاً، لا تشفياً ولا انتقاماً، بل طلباً للاصلاح ورغبة في ملافاة الشرور.

نحن لا نعرف الخوف في محاربة الباطل، ولا نخشى اللائمة في خدمة الحق وسواء لدينا اكان المنحرف من احب الناس الينا ام من ابعدهم عنا، فاننا نأخذه بعمله ونريش له سهام انتقادنا وتقريعنا، كما نسدي للمستقيم اجمل عبارات التنشيط وارق كلمات الثناء.

ولقد نمتدح شخصاً على عمل شريف صنعه او نثير على الآخر حرباً شعواء لفعل مخالف بدا منه، فلا يفهمن احد الرجلين، اننا اصبحنا من المحاسيب او من الاعداء، فقد يرتكب الاول شططاً لا يسلم عليه من قوارص الكلام، كما يهتدي الآخر لاجراء مبرة حقيقة بالشكر والتقدير. وليس في هذا تقلب يعيب او انتقاض يشين، لاننا ننظر الى الشخص من ناحيته العامة، فمن يحسن الى الجمهور استحق تكريمنا ومن يسيء اليه وجب علينا محاربته.

نعم ليس على الصحفي من وزر اذا امتدح رجلا بان له في الوهلة الاولى حرياً بالمديح لمظهر شريف يتظاهر به، او مبدأ قويم يدعي اعتناقه، وليس عليه من جناح ان سلقه بلسانه واصماه بيراعته متى ظهر له غثه من سمينه، وضعته من رفعته، وقصوره من زعامته، وشره من خيره.

وليس عليه من تثريب ان سحب «فرمان» رضاه عن زعيم زائف وكاهن مرائي ومثر بخيل وشاعر سارق وعالم جاهل، او اذا قلد ذلك «الفرمان» من يعود الى جادة الحق ويرجع الى حظيرة الايمان ويسلك سبيل الاستقامة والصلاح.

ولقد نجامل صديقاً بكلمة لطيفة ونجاري مشتركاً في عاطفة، فيحسب ذلك

الصديق ان من واجبنا اعطاءه فوق حقه ، ورفعه الى اعلى من موضعه ، ويظن ذلك المشترك انه اشترانا بليراته الثلاث ، فاصبحنا حاكياً نردد صداه وبوقاً ننفخ بما يريد . الا فليعلم مثل ذلك الصديق وذلك المشترك اننا لا نكيل بكيلهم ولا نزن بميزانهم ، لاننا لا نريد الصديق عبئاً على كاهلنا ، والمشترك غلا في عنقنا . والعدو احب الينا من الصديق المخادع ، وغير المشترك اقرب الينا من المشترك الثقيل .

هذه كلمة استدعاها المقام ، وهذا قلم كان ولا يزال وقفاً على خدمة الحق ومقاومة الباطل ان الباطل كان زهوقا .

٢٠ تموز سنة ١٩٣١

بين عامين

وهذا عام آخر ينسلخ من صدر الزمان ليتوارى في ثنايا الماضي الذي لا يعود .

عندما دقت الساعة الثانية عشرة في منتصف ليل الجمعة الفائت ، اختلج عام ١٩٣١ لآخر مرة ، واطل من وراء افق الابدية عام ١٩٣٢ ملثما بالخفاء ، محفوفاً بالاسرار ، اما الناس فطربوا له وصفقوا ، كأنهم لا يودعون جزءاً ثميناً من اعمارهم العزيزة على قلوبهم ، او كأنما يفرحون باستعجال آجالهم التي لا تسويف فيها ولا مطال .

انقضى عام ١٩٣١ بكل ما تبطنه من الحوادث المفجعة والوقائع المريعة ، واتى العام الجديد ؛ فهل يحمل للعالم على صفحات نهاراته ولياليه اوقاراً جديدة ونكبات شديدة ، ام انه سيمحو باصابعه الرقيقة ما سطره العام الخالي للبشرية من سطور الالم والمرارة وبلايا الثورات واطماع الاقوياء بالضعفاء ؟

لم يشهد العالم منذ اجيال ما اعتوره في العام الغابر من الضيقات والشدائد ، فهل يفرج العام الجديد تلك الشدائد ؟ ويفكك تلك القيود التي تكبل البشرية في جميع نواحي الحياة الادبية والمادية ؟

لقد طمى سيل الشرور وراجت سوق الاجرام والتفظيع ، وفشت الرذائل فباتت الفضيلة منتهكة الحرمة ، واصبح رجال الفضل مضيعي الاقدار مسلوبي الكرامة ، فهل ينفخ العام الجديد في صدور المجرمين والمنافقين والدساسين روح التوبة ؟ ويدفع بهم الى غير الطريق الي يسلكونها ، فيضمحل الفسق والدعارة ، وتتلاشى الجنايات والجرائم ، ويثوب المتهوسون الى رشدهم ويرجعون الى ضمائرهم ؛ فتسلم الفتيات البريئات من الهتك ؛ والاطفال الصغار من التشريد ، وتسلم الشبيبة الناهضة من العثرات ؟ اما قواد الشر ورجال الاطماع وتجار النفاق ، فتكسد بضاعتهم وتتحطم جهودهم ويسكب عليهم الناس ميازيب اللعنة والاحتقار ؟

هل تصمت المدافع الفاغرة افواهها لتدمير المدنية وتقتيل الانفس البريئة اشباعاً للمطامع وتنفيذاً للخطط الجهنمية التي يوحي بها ابليس لعباده ؟

هل تتسرب الرحمة الى حاشدي الاموال واصحاب الكنوز ، فيطلقونها من مخابئها لتيسير الاعمال وتشغيل العمال وتنشيط الزراع وترويج التجارة ، ام هل تظل مكدسة في الصناديق يدينونها للمعوزين بربى فاحش يقصم الظهور ويستنزف القوى ، فتزيد الضائقة شدة والفقراء تعاسة والحال تعقيداً وارتباكا !

هل يفتح الله على مستلمي مقدرات العالم ؟ فيرشدهم الى مواضع الاصلاح ، فيتمسكون بها والى مواطن الخلل فيجتنبونها ، وهل ينزل الله على الحكام السداد والحكمة فيقضون للبريء على المذنب وللمظلوم على الظالم ، بدون ان يراعوا مقاماً او نفوذاً او غنى ، ام ان العام المنبعث جديداً من قلب اللانهاية يمر كأمر شقيقه على جثث القتلى الابرياء واشلاء الآمال المتكسرة ؟

نحن في لبنان كما في غيره من البلدان الاخرى ؛ نتخبط في ظلمة الفقر والعسر ، ونقاسي عذاب الشك وفقدان الثقة ، فهل يسبغ العام الجديد علينا الخيرات والبركة ويعيد الى النفوس الطمأنينة والاركان ، فتنتعش الامور ؟

ماذا عسى تحمل في قلبك ايها العام الجديد ؟ اوقيداً يزيد الثورات والمشاكل سعيراً وحراً ؟

اكبولا تشد الخناق على المأسورين والمظلومين ؟ اسلاماً للنفوس الهالعة والقلوب الخائفة ، والشعوب الفزعة من سوء المصير ؟ اعزاء للحزانى وشبعاً للجياع وكساء للعراة ؟ اننا نستقبلك ايها العام الجديد بأمل ورجاء وشيء من القلق فعسى ان تتحقق الامال وتزيل القلق فتكون عاماً سعيداً على الأمة والوطن وعام سلام وامن ورفاه لجميع الشعوب .

١ ك ٢ سنة ١٩٣٢

الى المدارس الوطنية

انتهى عام الدراسة الحاضر ، واغلقت المدارس ابوابها فعاد الطلاب الى بيوتهم وفيهم الفائز الآمل ، والعاثر القانط ، والقانع المغتبط ، كل بحسب اجتهاده وتحصيله وحظه ...

اما الآباء فقد انشغلت خواطرهم منذ اليوم بتدبير رسوم السنة الآتية ؛ لعلمهم بصعوبة تدبيرها بعد ان فقد كل رجاء بتحسن الحالة المالية وانفراج الازمة الاقتصادية التي شملت الجميع على السواء .

ان كثيرين من الطلاب سيلزمون بيوتهم في السنة القادمة ، لا لانصرافهم عن العلم ، او رغبتهم في البطالة ؛ بل لقلة ذات يدهم ، وفراغها من الاموال اللازمة التي تتطلبها منهم المدارس ؛ وخصوصاً الاجنبية منها ؛ التي لم تشعر كما يظهر بالضيق

المستحوذ على الناس، والفقر النازل بهم، فتكاد بتعنتها في فرض الرسوم الباهظة؛ تبعث على الاعتقاد بان مهمتها في هذه البلاد ليست تهذيبية مجردة، بل تجارية محضة واستعمارية صرفة ليس الا.

ان كل الحاجيات رخيصة تعادل اسعارها الاسعار التي كانت عليها قبل الحرب فلماذا لا تكون الاجور اليوم كما كانت عهدئذ؟

لقد خفضت المدارس الوطنية اجورها؛ برغم ضعف ماليتها وعجز موازناتها؛ فلماذا لا تحذو المدارس الاجنبية حذوها؛ وهي الغنية بثروة بعثاتها، فضلا عن وارداتها المخصصة لها، كل من وزارة مستعمرات الدولة التابعة لها؟

ان المدارس الوطنية المنتشرة في كل بلد من بلداننا؛ كفيلة ان تعلم ابناءنا وتنفحهم بنفس الثقافة والاداب والشهادات التي تنفحهم بها المدارس الاجنبية، اما اجورها فاقل منها، واما الروح التي تنفخها في صدورهم، فارفع واسمى، فيما يتعلق بهم كوطنيين، فلماذا لا ندفع طلابنا لولوج ابوابها فتكون الفائدة مزدوجة والنفع منا ولنا؟

ان لم تتفوق مدارسنا الوطنية الابتدائية والثانوية على مثلها من المدارس الاجنبية، فهي صنو لها على الاقل، فلماذا اذن لا نتهافت على تدريج ابنائنا فيها حتى اذا شاء الطالب بعد الانتهاء منها؛ اكمال علومه قصد الجامعات الاخرى؛ الى ان يكتب لنا الحظ فيصير لنا جامعات وطنية كاملة.

نحن لا ندعو الى مقاطعة المدارس الاجنبية؛ ولكننا نرغب الآباء في ارسال اولادهم الى المدارس الوطنية الرسمية والخاصة؛ لانهم يستفيدون فيها الفائدة ذاتها باكلاف ادنى؛ والحالة الحاضرة تستلزم الاقتصاد والتوفير.

لا تلبث شهور العطلة الثلاث ان تذهب؛ فعلى ادارات المدارس ان تفكر بانزال رواتبها لانها باهظة، لا يمكن للاغنياء؛ فضلا عن الفقراء تقديمها؛ وبذلك

تبرهن على الاقل انها ليست جشعة ولا رغبة لها في الربح الكثير من التجارة بالعلم .

ونحن في كل حال ندعو الطلاب لتفضيل المدارس الوطنية على غيرها ، والتدرج فيها ليتلقنوا مع العلوم المبادىء الوطنية ؛ ويتشبعوا بالروح القومية ، عدا انها لا تقسو ولا تتجبر كغيرها من المدارس التي من ورائها الاساطيل والجيوش والمدافع ؛ الادوات التى لم تخلق الا للاستعمار والتذليل ، ونحن بما نحن فيه ؛ في غنى عن ان نزيد على عناصر ضعفنا وذلنا عنصراً جديداً نستطيع الاستغناء عنه بلا تضحية ولا بذل .

١٠ تموز سنة ١٩٣٢

الضائقة العالمية والحكومة

ضاعت سدى الجهود التي يبذلها رجال الاقتصاد في العالم ، لترحيل الضائقة عن البشرية جمعاء او التخفيف من اعبائها ؛ وذهبت عبثاً كل المساعي التى تحاولها الحكومات لحل الربط الخانقة الضاغطة على اعناق الامم ؛ وبقي الضيق والشقاء مخيمين في جميع انحاء المعمور ؛ وظل الفقر والضنك باسطين جناحيهما على وجهي الكرة الارضية ، وما زال شبح الجوع والهلاك ماثلا امام العالم ؛ يهدده بالفتك والخراب والدمار .

ان كل ما يصفه العلماء لهذا المرض العضال مراهم خارجيـة ؛ او منعشات وقتية ؛ قد تخفف الالم او تشفي بعض الاوصاب موقتاً ، ولكن الجرح لا يلبث ان ينكأ ، ونار الحمى ان تستعر ؛ فيزداد الالم وتضيق الانفاس ؛ فلا يجد العليل غير الانين مفرجاً للكربة ؛ وغير الدموع مخففة للبرحاء .

كان هذا الكساد وكانت هذه الشدة نتيجتين لازمتين للتضخم المالي ، وما

هما غير رد فعل على تلك الطفرة التي غمرت العالم اثر انتهاء الحرب الكبرى ، فحيرت العالم في مكافحتهما والقضاء عليهما اليوم

ان توسع الحكومات في التسليح وانصراف الدول الى تعزيز قواها الحربية ، وقيام الدسائس ونشاط الدعايات المختلفة ؛ كل هذه من اسباب الازمة المالية التي يعاني الناس منها اليوم الامرين ؟ ومن المستحيل القضاء عليها قبل القضاء على الاسباب الدافعة اليها .

لقد اغرقت روسيا المسكونة بحصولاتها ؛ واخذت تبيعها باسعار بخسة جداً لا يمكن للآخرين مجاراتها فيها ؛ املا باحداث الفوضى في الارض والترغيب في اقتفاء آثارها واعتناق مبادئها ؛ وقد عجزت الدول حتى اليوم عن الانتصار عليها او مزاحمتها ؛ وقد كان من اللازم ان تحسب لهذه النتائج المرة حساباً ، قبل ان تتورط في مرضاتها واكتساب عطفها ، اذن لكان لها في كبح جماحها قوة ، وعلى تهديم نظاماتها تأثير .

وقمت الضائقة وحل البؤس وسدت في وجوه الناس ابواب المعيشة ؛ فاعارتها الحكومات في البلاد الاخرى اهتمامها ، وشرعت في اعداد وسائل الدفاع عن كيان شعوبها ، ومضت تخلق الاسباب للترفيه عن رعاياها والتقليل من عذاباتهم ؛ الا في هذه البلاد الفقيرة التاعسة ، فاننا لم نر من الحكومة ما يجب ان نرى من الاكتراث لمصابنا والاهتمام براحتنا ؛ فزادت بتجاهلها الطين بلة والطنبور نغمة .

الضرائب الباهظة بقيت على حالها لم تتناولها يدها بتشذيب ولا اقلال ؛ والكساد استمر على شدته فلم تقم بعمل منتج يدفع عنا غائلته ويخفف من تأثيره ؛ والدول المجاورة تحكمت في صادراتنا فتهاونت حكومتنا في معاملتها بالمثل او عقد المعاهدات اللازمة معها لضمان حقوقنا . والجرائم المخيفة التي عجزت الحكومة عن اكتشافها كانت من عوامل القلق وتهديد الراحة العامة ؛ فنحن

في هذه البلاد من قبيل ما ذكرنا ، من اشق الناس لا سيما بعد انقطاع مدد اخواننا المهاجرين عنا وانشغالهم عنا بما عندهم من العسر والهم

ان الحكومة لا يهمها غير امر واحد وهو قبض الضرائب من المكلفين الفارغي الجيوب لاملاء خزينتها والصرف على موظفيها ؛ لذلك ارسلت الجباة ينذرون الناس المهددين بالجوع ؛ بوجوب دفع ما عليهم للخزينة ، والا اجروا الحجز على موجودات بيوتهم ؛ يعني افرشتهم وطناجرهم ، وهذا ما لا ترضى عنه حكومة من الحكومات التي تحس مع شعبها وتشعر معه .

نعم ان هذه الانذارات الخطية المعلقة على ابواب البيوت والدكاكين في القرى الفقيرة ، تقض المضاجع وتذهب الصبر ؛ ولكنها موجودة وقد قرأناها بنفسنا فلا مجال لتكذيبها فهل هذا التضييق يرضي الحكومة ويسرها ؟

ارفقوا بالفقراء ايها الحكام فان الفقر يهدد بالجوع والجوع لا يطاق .

١٦ ك١ سنة ١٩٣١

انصفوا المهاجرين

صوت من وراء البحار ، يرتفع عالياً مستغيثاً بك ايتها الحكومة ؛ فاصيخي بسمعك اليه ؛ واعملي على تفريج همه ، والتخفيف من بلواه .

في تلك البلاد النائية المضيافة ؛ اخوان لنا كرام ؛ جرفهم تيار المهاجرة الى انحائها ؛ فاخذوا يشتغلون بجد ونشاط لكسب اودهم فكانوا من الموفقين ؛ وكانوا من الفائزين ؛ فقد امتلكوا ناصية الثروة ؛ واحرزوا التفوق في ميدان التجارة والصناعة والزراعة ومختلف الشؤون ؛ وكان من نتائج نجاحهم واثرائهم ؛ ان غمروا وطنهم القديم بسيل من الذهب ، حول قفره اليباب الى جنان زاهرة ؛ واكواخه الحقيرة الى قصور شماء .

لقد رفعوا هنالك اسم وطنهم عالياً بين الامم ؛ ومجدوا ذكره بافعالهم الناصعة ، فما كان جزاؤهم من هذا الوطن وما كان نصيبهم من حنوهم عليه وتعلقهم به ؟

كان ان حرموا من الانتساب اليه وهو الفخور بهم ، وكان ان وضعت العراقيل في سبيل حملهم اسمه . وهنا منتهى العجب وغاية الاجحاف .

اولئك الاخوان المهاجرون الاعزاء يتقدمون الى القناصل ؛ طالبين اثبات هويتهم اللبنانية فيشيحون عنهم بوجوههم ويضربون بطلباتهم عرض الحائط ، تقيداً بالشروط الثقيلة التي تحملها معاهدة لوزان بين ثناياها الكالحة .

يجري كل هذا بينما نرى اللاجئين من اربع اقطار المسكونة يصبغون لبنانيين بمجرد رغبة يظهرونها وعطف ينالونه .

وردنا منذ ايام كتاب من احد انسبائنا في الجمهورية الفضية يبثنا شكواه ، ويرجونا ان نساعده على اعادة جنسيته اليه ، وليس الرجل بعوز يريد العودة الى بلاده خلو اليدين ؛ فارغ الوطاب ؛ بل له عقارات وبنايات وتجارة واموال ، وقد هاله وهو اللبناني الصميم ان تسد في وجهه ابواب بلاده وان ينكر عليه حق وهبه اياه الله .

ايتها الحكومة ، ان المهاجرين الذين نرجع اليهم في الملمات ، ونلجأ اليهم في الايام العصيبة يكادون ان يصهروا في بوتقة المهاجر فنفقدهم ونخسر كنزاً ثميناً لا يعوض ونبتلى بغبن هيهات ان يزال .

ايتها الحكومة ؛ استعيني بما لك من الحقوق وبما للدولة المنتدبة من القوة لتفكيك هذه القيود الثقيلة التي تضعها معاهدة لوزان في عنقنا ؛ ولرفع الحيف العظيم الذي تلحقه باخواننا لان الخسارة واقعة علينا ، والشعب الخاسر لا تكون حكومته رابحة .

١٣ تموز سنة ١٩٣١

مناورات عقيمة

رفقاً بالشعب يا اولياء اموره ؛ فقد فرغت جيوب ابنـائه ، وخابت آمالهم وضاقت صدورهم وكادت بطونهم ان تخوى واجسامهم ان تعرى ، وعزائمهم ان تتلاشى ؛ لان ما تحملوه من عسف الايام وجور الطبيعة وثقل الضرائب قد هد حيلهم وضعضع قواهم وجرهم الى هاوية اليأس والقنوط ، فتركهم حيارى لا يدرون كيف يردون عن صدورهم النبال ؛ ويدفعون عن كواهلهم الاحمال ؛ ولا يعرفون كيف يفككون عنهم القيود ويحطمون الاغلال .

ان الشعب ، منشغل عن المؤامرات العقيمة التي يديرها المجلس لاسقاط الحكومة ؛ والمناورات السقيمة التي تلجأ اليها الحكومة للاحتفاظ بكراسيها ؛ وهو لاه عن الاوضاع السيـاسية التي تتنبأ عنها الصحف ، فتشغل حقولها في تحليلها ونقدها وهي ما تزال جنيناً في بطن الايام ؛ او في مخيلة الرجال اصحاب الحل والربط ؛ وهو غير مبال بما يلقى من الوعود ، ويصاغ من الكلام الاجوف المزوق ، لان النفوس قد سئمت هذه الترهات ؛ وملت هذه المهازل والمآسي ، وكرهت كل هذه المغامرات السخيفة التي لا طائل تحتها ولا فائدة منها ولا خير فيها .

ماذا يهم الشعب اذا كان اوغست باشا اديب رئيساً للحكومة او كان حبيب باشا السعد ؟ وماذا يفيده ان يكون المسيو بوبون هو المندوب لدى الحكومة اللبنانية ام كان سواه ؟ ما زال هذا الشعب راسفاً بقيود الفقر والفاقة ، مكبلا باغلال البطالة والكساد ؛ مثقلا بالضرائب الباهظة التى توقره وتطرحه متلاشياً في غمرة اليأس والخجل .

اي خير يجنيه الشعب من الجمهورية والوزارة والمجالس والدوائر الطويـلة العريضة ؛ اذا كانت سبل الحياة تضيق بوجهه وابواب الرزق تسد امامه ؛ واي

مجد تناله من ابدال الانتداب بالمعاهدة اذا كانت الايدى العاملة عاطلة ؛ والمزارع خاوية والتجارة كاسدة والزراعة بائرة والصناعة واقفة اما الجيوب ففارغة والقلوب خافقة والعيون فدامعة ؟

كل هذا باطل كقبض الريح ...

اذا كانت الحكومة من الامة واليها ، فلتعمل كما تعمل سائر الحكومات الراقية للترفيه عن شعبها والتخفيف من ويلاته والتقليل من نكباته ، واذا كان المجلس منبثقاً من هذه الامة فليكن باراً بها رفيقاً بحالها شفيقاً على ابنائها ، لا تأخذه في الدفاع عن سلامتها لومة لائم ولا متسلط ؛ ولا يرهب في الذود عن مصلحتها جانب عظيم ولا خطير ؛ والا لخير لهذه الحكومة ان تعتزل ولهذا المجلس ان يتوارى ما داما عاجزين عن مداواة هذه الامة المحتضرة وانعاش هذا الشعب المتحير بين الموت والحياة .

واذا لم يكن للحكومة او المجلس قبل برد محل المواسم ورفع اسعار المحصولات وتسيير دولاب التجارة ورواج الاعمال ، فباستطاعتهما اذا شاءا تخفيف عبء الضرائب عن ظهور المكلفين المقصومي الظهور المنهوكي العزائم الفاقدي الصبر .

وفي مقدورهما اذا شاءا ان يحولا دون الجباة يحكمون في الناس حكم الفراعنة ، فيحجزون افرشة الفقراء وطناجر الارامل ، ويبيعونها في المزاد العلني على مرأى من الجياع ومسمع ؛ ليسدوا بها عجز الخزينة ؛ وليضمنوا بقيمها رواتب اصحاب المراتب والمراكز العالية ، وهذا منتهى ما وصل اليه الاستهزاء بالنفوس والاستبداد بالضعفاء ؛ وهذا غاية ما يصل اليه الطغيان ، ويبلغ اليه الجور ؛ وهذا ما لا يستطيع شعب مهما حمل واستلان تحمله والصبر عليه ، وهذا ما لا تتدنى حكومة ولا مجلس كحكومتنا ومجلسنا الى القبول به والاحتكام اليه ؛ وفي المجلسين

نخبة من رجال الفضل اصحاب العقول الرجيحة والنفوس الطيبة والمقاصد النبيلة ان شاء الله .

٢ ك ١ سنة ١٩٣١

نوابنا ونوابهم

في لبنان كما في فرنسا وانكلترا وغيرهما من البلدان الراقية ، نواب وحكومة دستورية .

وهؤلاء كاولئك لهم نفوذهم وجبروتهم وحكمهم النافذ في شؤون الامة ورقاب العباد .

وهؤلاء كاولئك يتناولون المرتبات الباهظة ؛ ويسكنون القصور ، ويقتنون السيارات ؛ ويعيشون في بسطة ورخاء .

وهؤلاء كاولئك ، اذكياء ومقتدرون وفطاحل ؛ وانصاف آلهة

وهؤلاء كاولئك يجتمعون وينفرطون ، ويخطبون ويتناقشون ويسنون الشرائع ويستصدرون المراسيم .

وهؤلاء كاولئك في كل ما ذكرنا ، ولكنهم يختلفون عنهم بامور اخرى ؛ ليست عندهم على شي من الاهمية ؛ وليست في نظرهم غير توافه ، لا يعتد بها ولا قيمة لها ؛ واما في نظر الامة فهي كل شيء ؛ لانها وحدها تتحمل الاعباء وتتجشم المشاق .

ان نواب البلاد الاخرى ؛ ينظرون الى حاجات الامة فيقضونها ؛ ونواب لبنان ينظرون الى مصالحهم فيخدمونها ؛ والحكومات الاخرى ترى شعوبها رازحة تحت اوقار الازمة الاقتصادية ، فتبادر الى التخفيف عنها بالغاء الضرائب او انقاصها ؛ وحكومة لبنان ترى لبنان يذوق الامرين من بؤسه وفقره ؛ فتضع له

« فوق الدكة شرطوطة » .

اولئك يعمدون الى تضحية منافعهم ، في سبيل الشعب الذي رفعهم الى كراسيهم على اكتافه ، وهؤلاء يندفعون لصيانة مصالحهم ؛ ولو كلفتهم مهج الآخرين وارواحهم .

وماذا يهم الوزراء والنواب اذا جاع الناس ودنقوا ، ما زالوا هم يأكلون ويشربون ؟ ماذا يضير الوزراء والنواب ان يطلب الطفل الرغيف فلا يجده ؛ وتنشد المرأة الثوب فلا تصل اليه ؛ ويسعى الرجل الى العمل فلا يبلغه ، ما زالوا هم في رفاه ويسر ، يأمرون فيستجابون ؛ ويحكمون فتنفذ ارادتهم المقدسة ؛ ويقولون فيؤمن الجميع على ما تنطق به افواههم المسجدية ؟

ماذا يضير الوزراء والنواب ؛ اذا افلس التاجر وادقع الفلاح واستغاث العامل ؛ ما زالت جيوبهم ملأى بالبنكنوت ؟ واهراؤهم غاصة بالحبوب ؛ وبيوتهم حفية بالمفروشات الثمينة والرياش ؟

ماذا يعني الوزراء والنواب اذا مشى الشعب باقدام حثيثة نحو الهاوية ؛ وتغلغلت المجاعة في طبقات الامة ؛ ما زالت النعمة تبطرهم ؛ والسلطان يقيمهم ويقعدهم ، وما دام انين الجياع والمظلومين ، يحلو في آذانهم ويعذب في مسامعهم ؟

وماذا عليهم اذا فتشوا في زوايا اليابسة ، فلم يجدوا ما يرهقونه بضريبة اخرى ، فحولوا انظارهم شطر البحر يحاربون الاسماك وينتقمون من صياديها ؟

على سواحل الجمهورية اللبنانية ، من القنطرة الى نهر العريضة ، مئات من الصيادين البائسين ، ينتزعون اللقمة من بين انياب الموت ؛ فجاء المجلس وجاءت الحكومة ينازعانه اياها ؛ ويقضيان عليه بالفناء .

الصياد يدفع مال الطريق ، ويدفع ثمن تذكرة الصيد ؛ ويدفع رسماً عن الزورق ، ويدفع للبلدية عن كل سمكة يصطادها ؛ فهل من العدل ان يرغم هذا

المسكين على دفع الخمس علاوة على ما يدفع ؟

ليس الصياد عدو الوزراء ولا النواب ؛ بل واحد من رعاياهم ، وهو فقير لا يجر عليه سلاح ؛ فهل يجوز الانتقام منه بهذا الشكل الفظيع ؟

الوف من الصيادين في شدة وضيق ؛ والحكومة تجد في شد الخناق عليهم بضريبتها الجديدة فهل يحق لهم ان يشكوا ويستجيروا ام لا ؟

رحمة ايها المتحكمون بالرقاب ؛ فان البطون خاوية والاجسام عارية والموت منا على قاب قوسين ؛ وشفقة ايها الآمرون الناهون ، فان الفقر شامل والبؤس منتشر واليأس ملء القلوب والصدور

وانصافاً يا انصاف الآلهة فان البشر لا يستطيعون ان يتحملوا اكثر من الاوجاع والآلام .

انظروا ايها النواب والوزراء الى بؤس الصيادين وفقرهم ؛ وارفعوا عن كواهلهم الاثقال التي لا حول لهم على تحملها ولا اقتدار .

١٧ شباط سنة ١٣٩١

الجمهورية اللبنانية راسخة الاركان

كان استقلال لبنان الصغير ؛ منذ ثلاثة ارباع القرن ، النواة التي انبثقت منها الجمهورية وكان بروتوكوله ؛ البرعم الذي تفتق عنه الدستور .

لقد اشترى اللبنانيون استقلالهم بدماء شهدائهم ، وحريتهم بارواح ضحاياهم ، فالجمهورية التي يتفيأون ظلالها اليوم ؛ والدستور الذي يقطفون من ثماره ؛ لم تأتهم بهما دولة فرنسا الحرة ، الا جزاء لجهادهم وثمناً لجهودهم ، واعترافاً باهليتهم ، فاذا ما عنّ لبعضهم تقويض هذه الجمهورية وتمزيق هذا الدستور ؛ حاربوهم بكل ما لهم من الحق ، وقاوموهم بكل ما فيهم من القوة .

لم يقطع اللبنانيون هذه المرحلة الشريفة في حياتهم القومية ؛ مشياً على جادة مفروشة بالزهور والحرير ؛ بل اجتازوهـا سيراً على طريق الالم والاضطهادات والجوع والتضحيات ؛ فهل يعقل ان يتناسوا كلما قاسوه وتحملوه ؛ وهل يتسنى ان يفرطوا بكل ما احرزوه ووصلوا اليه ، اكراماً لفئة تسعى لبلوغ غرض معين؛ تارة عن طريق الدين وطوراً عن طريق الوطنية ؛ للقضاء على استقلالهم وتقويض نظامهم ؟

لقد عبر اللبنانيون عن عقيدتهم السياسية مراراً واعربوا عن شدة ايمانهم وتمسكهم بلبنانيتهم في كل سانحة ؛ وهم لا يتحولون عن هذه العقيدة ولا يخرجون على هذا الايمـان وهذا التمسك ، ما دامت تختلج في قلوبهم نبضات الحياة ؛ وما زالت انوفهم الشم ، تنشق نسمات الارز الخـالد فتعبق بها صدورهم وتتعطر باريجها انفاسهم .

لقد كفل الدستور اللبناني لكل طائفة من الطوائف حقوقها ؛ متساوية مع حقوق غيرها ، فللمسلم ان يكون الرئيس الاول في الدولة كما للماروني وللارثوذكسي وللشيعي وللدرزي ولليهودي ؛ لذلك يشترك الجميع ؛ المسلم والماروني والارثوذكسي والشيعي والدرزي واليهودي في محبته والدفاع عن سلامته .

ان الدستور اللبناني مع كل ما اعتراه من التعديل ؛ وما تناوله من التحوير ، لم يزل مضارعاً لارقى دساتير العالم واضمنها للحقوق ؛ فاذا ما ارتكب عفواً القائمون على حراسته المكلفون بتنفيذه ؛ بعض الخطيئات فما هو ذنب الدستور ؛ ولا هي جريمة الحكم البرلماني . وها هي البلدان الاعرق منا في الاستقلال والحكم النيابي ؛ تمزق عمداً دساتيرها وتفرق مجالسها ؛ ليستطيع المضطلعون بالمسؤولية الصمد امام تيار الفوضى الجارف ؛ وليتمكنوا من الثبات امام اعاصير الدعاية الهدامة المختلفة ، انقاذاً للوطن ومحافظة على كيانه .

وما زال حسن النية هو الدافع ؛ وما دامت الرغبة في توطيد الامن وتوفير اسباب الرفاه هي الحافز ؛ فلا جناح ولا جريرة .

ان استقلال لبنان يملأ قلب كل لبناني وفكره ؛ وجمهورية لبنان تعيش في صدر كل فرد من افراد الامة اللبنانية الطموحة ؛ وسيبقى هذا الاستقلال وتبقى هذه الجمهورية ما بقيت الامة اللبنانية وما بقيت دولة فرنسا القوية .

٦ حزيران سنة ١٩٣١

في سبيل الخيول

الخيول العربية ؛ في الجمهورية اللبنانية ، اعز على نواب الامة من ابناء الامة ؛ وتحسين نسلها ؛ الزم عندهم من الاحتفاظ باخلاقهم واموالهم ومستقبل انسالهم .

ما كان يظن احد ، ان الجرأة تبلغ بالنواب اللبنانيين ؛ واللبنانيون على ما هم عليه من الضيق والفقر والافلاس ، والبلاد على ما هي عليه من التدهور الاقتصادي والاخلاقي ؛ ما كان ليحسبن احد ولو في الحلم ؛ ان جرأة النواب تغرر بهم لتقرير الدوبله ؛ التي نرى في كل يوم من ضحاياها ما يقلق الخواطر ويثير الشفقة ويشجي النفوس ؛ والتي كادت تقضي على سلامة العائلة اللبنانية بما تسببه من الشقاق والانتحار والفرار او الانحطاط الى دركة الاجرام والسير فى سبيل الائمة واللصوص .

يريدون ارساخ نادي السبق ولكن على انقاض البيوت وشقاء العائلات ، ويريدون تعزيز غزوان ورضوان واخوانهما ورفعهما الى المصاف العليا ، ولكن باذلال حنا وعلي ويوسف وامثالهم وادلاجهم في ظلمات الحياة ؛ وزجهم في مهاوي الغواية والفساد . ولو بقي غزوان ورضوان ينقلان الخضر على ظهريهما من حمص الى حماه لكانا يأكلان علفهما بملء الاستحقاق ؛ ولكانا افادا صاحبهما بربح حلال

لا اثر فيه للغش والسرقة ، ولكانا كفيا ايضاً اربعة عشر نائباً لبنانياً من الوقوف هذا الموقف غير المستحب بازاء الامة التي انابتهم وكلاء يدافعون عنها ويزودون عن مصالحها ؛ فكانوا وبالا عليها و كانوا اعداء لها .

وبينما نرى مجالس الامم الاخرى تبذل قصاراها في اتخاذ الوسائل الفعالة لتخفيف الويلات ومحاربة البطالة والكساد ، نرى مجلسنا الموقر يصدق الدوبله مبيحاً المراهنات على الخيول الكريمة ، كأنما رأى ان الناس بطروا من النعم ؛ واستغنوا من رواج الاعمال ، وحاروا من الذهب المتدفق على جيوبهم فراحوا يفتشون عن ابواب صرفه جزافاً ليتسلوا ويتلهوا بمشاهدة الخيول ، واهراق الثروات تحت سنابكها . وانه لمن المؤسف لا بل من المفجع ان يقدم مجلسنا الحالي على هذا التشريع في الظروف الحاضرة التي اقل ما يقال فيها انها خانقة ومرهقة .

اذا كان لبعض النواب مصالح خاصة في هذا التشريع فضربوا بسلامة العائلة اللبنانية وباخلاقها وراحتها من اجل هذه المصالح ، فيا ويل الامة من هؤلاء النواب ويا ويل النواب هؤلاء من التاريخ . واذا كان البعض الآخر قد ماشى النواب ارباب المصالح منهم على حساب الامة ، فيا بئس ما فعلوا ويا رحمتاه على الجراة وحرية الضمير وشرف النيابة .

ان النائب الذي لا يستطيع ان يقف ناصع الجبين مرتفع الرأس امام ناخبيه ، خير له ان ينزوي ضمن جدران بيته ، والنائب الذي لا يعنيه من النيابة الا رفع اصبعه ساعة التصويت ليس ذا حق بالتربع في كرسي النيابة التي لم تخلق للخانعين المستسلمين .

لقد فتح مجلس النواب باب المراهنات على مصراعيه اكراماً لبعض المتنفعين بحجة تحسين نسل الخيل ، فقضى بذلك على اللبنانيين وعلى نسلهم بالانحطاط والفقر

والموت المحتم . ان ادمى طعنة وآلمها هي طعنة الانسان نفسه ؛ وقد طعن النواب الامة وهم من الامة في صميمها فما اشدها طعنة وما اقساها .

اما النواب الذين تغلبت عليهم الاكثرية فلهم من فشلهم شرف الفوز وفخار الغلبة .

٢ آذار سنة ١٩٣٢

لا استقلال قبل النضوج

ليس في سوريا ولا في لبنان من نضوج في الاخلاق ولا في السياسة ، يؤهل القطرين للاستقلال التام في شؤونهما الادارية والسياسية وغيرهما من الشؤون ، فلا غنى لهما والحالة هذه عن مدرب خبير يرشدهما سواء السبيل ، ويتولى ادارة دفتهما ولو بالواسطة لتسيير سفينتيهما الى المرفأ الامين

قد نكون حفدة الفينيقيين الذين امتلكوا ناصية البحار قديماً ، وانشأوا المستعمرات وعمروا الاقطار ، وقد نكون من انسال العرب الذين ثلوا عروش الروم والفرس وطاردوا الافرنج حتى نهر (لوار) ؛ فاسسوا الممالك وبنوا مدنيتهم الزاهرة على انقاض المدنيات الاخرى ؛ فكانوا ابطال السيف والقلم ، خضعت لهم الرقاب وعنت لسطوتهم الشعوب واسلست لهم الفنون والعلوم على انواعها ؛ قد نكون من اولئك الذين نفتخر بالانتساب اليهم ونعتز بالتكني باسمائهم . ولكننا مع الاسف ليس لنا الآن كل ما كان لهم من الصفات التي تؤهلنا لنسير سيرهم وننحو مناحيهم ؛ ليس فقط من عدم الاقتدار على بسط نفوذنا على الآخرين بل من عدم كفاءتنا للاحتفاظ باستقلالنا والتمتع بحريتنا الكاملة .

ربما تجلب علينا هذه الحقيقة الصريحة التي نجاهر بها بكل اخلاص وجراءة ، غضب الكثيرين الذين يدعون الوطنية فيملأون الدنيا بصراخهم واحتجاجاتهم

ظانين او حاملين السذج على الظن بان لا سعادة لنا ولا هناء ولا تقدم بغير التخلص من نير الانتداب الثقيل الذي ارهقت جمعية الامم به كواهلنا؛ وبدون استقلالنا في جميع شؤوننا استقلالا تاماً ناجزاً.

كل ذي حياة يرغب في الاستقلال ويسعى اليه، ولكن الفرق في ان يعرف المرء متى يكون هذا الاستقلال في مصلحته ومتى لا يكون بالنسبة للعوامل الخارجية والظروف المرافقة، وبالنظر للاستعداد الشخصي الموجود في طالب الاستقلال من حيث القوة والغنى والهيبة. وهذه القاعدة نفسها تنطبق على الشعوب انطباقها على الفرد؛ فاذا لم يكن للامة قوة حربية كفيلة بدرء الاخطار الخارجية ورد غارات الدول المجاورة عنها؛ واذا لم يكن لها من الثروة ما يضمن لها النجاة من الافلاس والحاجة، واذا لم يكن لها من تربية ابنائها الذين يتولون مقدراتها ما يقضي على مطامعهم الشخصية ويحول دون استخدام نفوذهم لاجل اغراضهم وملذاتهم، وتسخير وجداناتهم لخدمة الاقوياء او اكتساب المغانم، اذا لم يكن للامة ما ذكرنا فمن الجهل الفاضح والتغرير ان يكون استقلال او ان نطالب به.

ان النضوج اللازم لم يتم في عقلية اهالي هذه البلاد وفي اخلاقهم وفي تربيتهم وطالما نحن كذلك لا يرجى لا لسوريا ولا للبنان ان يستقلا وليس من مصلحتنا نحن السوريين واللبنانيين ان نطالب به بل يجب ان نصر على التمسك باهداب الانتداب لكي لا نصير لقمة سائغة في حلاقيم الفاتحين ولكي لا نغدو طعما للفتن الداخلية واستئثار اقوائنا بضعفائنا.

١٦ كـ ٢ ١٩٣٢

بماذا يهتم النواب

لا اعلم اهو انتخاب رئيس الجمهورية الذي يهتم له نواب البلاد اكثر ؛ ام انتخاب البلديات والمختارين ؛ ومع انه لا يوجد مناسبة بين وظيفة رئيس الدولة واعضاء البلديات والمختارين ، فاني اجرأ واقول ، ان النواب يكترثون بالانتخابات الثانية اكثر ، لان رئيس الجمهورية لا رأي شخصي لهم في انتخابه ، حيث يلقون اوراقهم في صندوقة الاقتراع مسيرين بحكم الوحي الهابط عليهم من الطور ؛ فهم والحالة هذه يمثلون اداة ميكانيكية لا ارادة لها ولا رأي ، ولان اعضاء البلديات والمختارين ؛ هم الذين يوحون بانتخابهم وتعيينهم ويساعدون بنفوذهم واقتدارهم على رفعهم الى وظائفهم ؛ ليكونوا لهم صنائع وابواق ؛ والفرق جلي واضح بين الامرين ؛ والبون شاسع بين ان يكون الانسان مسيراً او مخيراً . مستقلا او محكوماً سيداً ام خاضعاً .

لم يبق فرد من افراد الامة اللبنانية تقريباً ؛ الا ولهج بمصير الرئاسة ، وتساءل عن الرجل السعيد الذي سيفوز بتقلدها ؛ بعد ان ظهر من المرشحين عدد لا يستهان به ، وكلهم يسعى السعي الحثيث للظفر بما يريد .

ان الراغبين بمثل هذا المركز الخطير في البلاد الاخرى ، يتطلبونه بين افراد الامة او بين نوابها ، حسب تشريع كل واحد منها ؛ اما عندنا ، فان طلابها يفتشون عليها ، في محل واحد ، هو دار المفوضية ، مستنيرين بثواصي الرؤساء الروحيين النافذين ليس الا ؛ فمن احرز رضى فخامة المفوض السامي ، كان رئيساً للجمهورية غصباً عن النواب ؛ لا بل برضاهم لانهم جميعهم يرضون ؛ اذا ما استنشقوا رائحة الرضى تضوع من هيكل المفوضية المقدس .

نحن لا نقول بمعاكسة العميد ؛ ولا برفع من لا يستطيع مواصلة التفاهم

معه ، في اثناء القيام بمهام البلاد الموضوعة تحت اشرافه بحكم نصوص المعاهدات كممثل لدولة فرنسا الفخيمة ؛ وبحكم حاجتها الى عضد قوي ذي سلطان يحمي حدودها ويدافع عن سلامتها ، ولكننا نقول ان الخنوع والاستماتة بهذا المقدار ؛ ليسا منطبقين على الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي في شيء ، كما ان العميد نفسه لا يسره ان يسوق غنما ؛ في الوقت الذي يسعى لمساعدة شعب على النهوض ، لذلك يسوءه ان يرى ولا ريب ، نواب هذا الشعب ؛ يعودون القهقرى نوبة فنوبة ، بدلا من ان يبرهنوا عن تفوق في غير الاستسلام والطاعة .

ان للنواب ملء الحق بمقتضى الدستور اللبناني ؛ ان ينتخبوا الرئيس الذي يريدون بدون استشارة اي مركز مدني او روحي ؛ ولكنهم لا يفعلون لانهم انما نالوا نيابتهم بالاستجداء من تلك المراجع ؛ لا بثقة الشعب او بالانتخاب الحر ؛ فهم اذا اذعنوا فلانهم يطمعون بالغنيمة ثانية ليس الا ؛ ولئن شذ عن هذه القاعدة افراد قلائل منهم فانما الشاذ لا يقاس عليه .

ان لبنان بحاجة الى رئيس واحد لذلك سيولي عليه رئيس واحد فقط ، فعلى النواب ، ولهم وحدهم حق رفعه الى كرسيه ؛ ان ينظروا الى مصلحة الشعب اولا قبل ان يلتفتوا الى تسول رضى المقامات العالية ، واستكشاف ميولهم ؛ لانهم وكلاء الشعب رضي ام غضب ، وهم مكلفون بحكم الضمير والمعاشات الباهظة التي يتقاضونها من جيوب ابناء الشعب ، ان يبذلوا ما بوسعهم لاجل خيره وفلاحه ،

ان الشعب اللبناني الذي ينخر جسمه سوس الطائفية العمياء ويتأكلها نار التعصب الممقوت ، التي اذكاها الاحصاء الاخير ، في حاجة الى رئيس لاطائفي وبكلمة اخرى الى رجل يكون مسلما او شيعياً او مارونياً او ارثوذكسياً او درزياً في جامعه او كنيسته او خلوته ؛ ولكنه لبناني في كرسيه . واذا كان

في لبنان الرئيس الحالي كذلك، ففيه غيره ايضاً ممن يستطيعون ان يكونوا مثله.

ان الشعب اللبناني في حاجة الى رئيس جريء مصلح اذا رأى خللا عمد الى اصلاحه؛ او تقصيراً جد الى ملافاته؛ او اعوجاجاً سارع الى تقويمه.

ان الشعب اللبناني في حاجة الى رئيس يشعر مع الشعب ويحس معه، فيتألم لآلامه ويفرح لافراحه؛ ويبكي لبكائه.

ان الشعب اللبناني الذي يلبس من الاوضاع الحاضرة ثوباً فضفاضاً من الدوائر والدواوين والوظائف، في حاجة الى رئيس ماهر في القطع خبير في التشذيب بارع في التفصيل لكي يلبسه رداء على قدر جسمه، ليس بالواسع المتهدل عليه ولا بالضيق الذي يؤلمه؛ ولكي يوسده بساطاً على قدر رجليه لان الحكمة كل الحكمة في معرفة الانسان قدره والخير كل الخير في الانفاق على قدر الطاقة.

ان في لبنان رجالا خليقين ان يخلفوا الدباس الذي كان بالرئاسة جديراً وللبنان فخراً؛ فعلى النواب ان يبادروا لانتخاب من يكمل العمل العظيم الذي بدأه الدباس في تعزيز الجمهورية واقامة العدل وتوطيد الامن واحلال الرفاهية قبل ان يستقتلوا في سبيل تعيين فلان مختاراً وفلان رئيساً لبلدية او عضواً فيها؛ لان هذا من خصائص القرويين الذين لهم تماس ومصالح معهم.

ليظهر لنا النواب ولو هذه المرة؛ انهم اهل لتمثيل الامة اللبنانية وان عندهم من الغيرة على مصلحة امتهم وعلى سمعتهم ما يذكر بالجميل والفخر.

١٢ اذار سنة ١٩٣٢

يستذرون بخيالهم

والناس في بلدان وقصبات الجمهورية اللبنانية؛ يتأهبون لخوض غمار الانتخابات البلدية، والاحزاب تعقد الاجتماعات، وتؤلف اللوائح وتجري التطبيقات؛ فاجأهم

المجلس النيابي الموقر ؛ بارجاء هذه الانتخابات الى اجل غير مسمى ، ملغياً بقراره هذا المرسوم الذى دعي الناخبون بموجبه للاقتراع في اليوم العشرين من الشهر الحالي ؛ وذلك تلافياً من نشوب الخصومات وثورة الفتن بين الاهلين على زعمهم .

لقد الف المجلس العبث بالقوانين ؛ والاستهزاء بارادة الشعب ، حتى اصبح التغيير والتبديل عنده ؛ لسبب او لغير سبب ؛ امراً عادياً لا شأن له ولا اهمية ، كأن الانظمة ملهاة لديه يتسلى بها ؛ وكأن كرامة الشعب ومصالحه وارادته اشياء لا قيمة لها ولا ثمن ، وهذا اشد ما ينكب به موكل من وكيله ، وافجع ما تضرب به امة من نوابها .

والاعجب من هذا ان الحكومة التي تقع على عاقها تبعة الانتخابات المباشرة وحوادثها ، صرحت بلسان وزير الداخلية بانها تكفل اجراء الانتخابات البلدية في جو هادي وسكون تام ، وتتحمل كل تبعة من هذا القبيل ، فما كان من النواب الا الاصرار على التأجيل ، ووقفوا موقفاً ثابتاً ازاء الحكومة ، فكان لهم ما اردوا وهو تأجيل الانتخابات تأجيلا لا مبرر له ولا دافع اليه ، الا المصلحة الخاصة فقط .

لو كان النواب يخافون حقيقة من القلاقل والاضطرابات لكان لهم من احتراز الحكومة وكفالتها خير ضمان ، ولكن لهم قصداً غير هذا ، يخفونه في نفوسهم ويتسارون به فيما بينهم ، وما هو غير خوفهم من فشلهم في قيام بلديات لا ارادة لهم في قيامها ، ولا يد في فوزها ، وليست اعضاؤها من مؤيديهم ولا مريديهم .

ان الحقيقة الجارحة التي يريد النواب اخفاءها عن السلطة والحكومة وعن الشعب نفسه هي ضعفهم جميعاً في مناطقهم ، وانصراف الناس عنهم ، حتى اشد المندفعين في مناصرتهم من قبل ، وما ذلك الا لانهم خيبوا بهم الامل ، فلم يبرهنوا

بوجودهم في المجلس الا عن انانية ممقوتة واثرة ذاتية مستقبحة، ولم يتشددوا الا في فرض الضرائب على الشعب الكاني تحت اعباء البؤس والافلاس، ولم يستأسدوا الا في تقرير المشاريع القاتلة للبلاد واهلها، ولم ينظروا لغير مصالحهم الخاصة، يقضون من اجلها على كل مصلحة للبنان واللبنانيين، ولسان حالهم يقول: «من بعد كديشهم لا ينبت حشيش».

ان شعورهم بهذا الامر الواقع، وتشبثهم بمعرفة هذه الحقيقة الثابتة، اهاب ببعضهم لا بل باكثريتهم، للتواطوء على ذر الرماد في العيون، وايهام المراجع التي تهمهم، بانهم ما زالوا اقوياء يتمتعون بثقة الناخبين وتأييدهم. على هذا الاعتقاد وبهذا الشعور عمدوا بكل جرأة لتأجيل الانتخابات البلدية، لا الى شهر او شهرين او ثلاثة بل الى اجل غير معين بحجة المشاغبات والعداوات مرة، وبحجة الاحصاء مرة اخرى، والحقيقة الناصعة التي لا مراء فيها هي ما اثبتناه سابقاً.

ولئن ظن بعضهم ان هذا التأجيل قصير المدى فانما نحن نعتقد انه سيطول الى ما بعد الانتخابات النيابية، ليبقى حضرات النواب ولو ظاهراً اصحاب نفوذ وهمي ورؤساء احزاب لا وجود لها ولا اثر.

ولقد قابل الشعب هذا التأجيل بكل فتور واستهجان وسجل لنوابه مأثرة جديدة اضافها الى مآثرهم السابقة التي يحق لهم ان يفاخروا بها ويعتزوا...

ان دورة المجلس الحالية قد طفحت والحمد لله بالمشاريع «المهمة» والقرارات «المفيدة» التي صفق لها اللبنانيون لا طرباً، بل من الالم والقهر. فهل يعمل هذا المجلس ما يعمله نكاية في الشعب وانتقاماً منه، ام انه يفعل ما يفعل مسيراً بارادة خفية تعمل لاغراض خاصة ومنافع ذاتية لا تتلاءم مع مصلحة البلاد ولا تتفق معها؟

الشعب يحتضر فلا ترقصوا على قبره

« سأدخل البيوت واحتلها وابقى فيها (اذبح الدجاج) وآكل واشرب على كيفي واحجز الاثاث والمواعين وابيعها لاستوفي باثمانها قيمة الأموال المترتبة على اصحابها » اه .

سمعت بأذني هذا القول في احدى المحلات القائمة في شارع القرية ، والتفت فرأيت رجلا عملاقاً ، على رأسه كوفية وعقال ، اعاد منظره الي ذكرى جنود الاتراك في ايام الحرب الكبرى ، وفكرتني لهجته القوية بتلك الاوامر الصارمة التي كان يلقيها اولئك الجنود ، الذين لا يخافون الله ، على الجاثمين الرازحين تحت نير الظلم والعتو والاستبداد ، ففركت عيني بيدي لئلا اكون حالماً ويكون ما اشاهده امامي واسمعه باذني ، خيالات وهمية ، واصوات غير موجودة ، ولكن شد ما كانت دهشتي عندما تحققت انني في يقظتي ، وان ذلك العمليق الجبار لابس الكوفية والعقال ، ليس سوى رجل حقيقي يتكلم فيسمع الناس اقواله متمرمرين ساخطين وقانطين .

اما الكلمات البذيئة والشتائم القبيحة ، فاضرب عنها صفحاً ، لئلا تخدش اسماع القراء ، وتحملهم على الاشمئزاز .

وهذا الشخص العظيم الذي يتكلم ، ما هو قائد من قواد الاتراك ، ولا هو وزير من الوزراء ، حتى ولا هو نائب من النواب ، او موظف من الموظفين الكبار ، الذين لهم النفوذ الكبير الانصار الكثيرين ، ولا من شيوخ «الشباب» ولا من « القبضايات » بل هو جابي بسيط يتناول راتبه من خزينة الدولة ، ليجمع لها الاموال بالطرق القانونية ، وبادب ولياقة وحسن ذوق ، لا باختراق حرمة البيوت واحتلالها ، وحجز مفروشاتها والتحكم باهلها ، والتنعم بلحوم دجاجها وديوكها ، على ما يرغب ويريد .

ويزيد عجب القراء، متى ادركوا ان هذا الجابي المولج باستلام الاموال وقيدها واعطاء ايصالات بها، يكاد يكون امياً، ولكنه بالرغم من ذلك فهو موظف صادقت على تعيينه في عداد موظفيها وزارة المالية. ولكن هذا العجب يزول متى عرف ان هذا المخلوق يمت بصلة القرابة او المحسوبية الى احد نواب البقاع النافذين ولا شك، لدى العائد اليهم امر تعيين هذه الفئة من الموظفين.

كان المشايخ في ايام لبنان الصغير، يجمعون الاموال الاميرية، فما كان يضيع منها بارة واحدة على الحكومة، وبالوقت ذاته لم تكن تدفع لهم معاشات ولا تخسر عليهم بارة واحدة من اموالها، فلما اقتضت مصالح نواب البلاد، ان يوجدوا لاقاربهم ومحاسيبهم وظائف يعيشون منها خلقوا لهم نظام الجباة، فما ازدادت الخزينة، ولا تحسنت طرق الجباية، ولا تجاسر هؤلاء الجباة المحاسيب، على مطالبة اسيادهم ومن اليهم، بما عليهم من الاموال والبقايا والمترتبات، فكانت النتيجة اسوأ مما كانت، واصبح المتنفذون بفضل ازلامهم، بنجوة من الدفع وبقيت الاموال في ذممهم، واخذ هؤلاء يتمرجلون على الفقراء الذين لا يملكون غرشاً واحداً، يشترون به ما يسد رمقهم، ويقيت عيالهم، ويهددونهم بالحبس والحجز الى غير ذلك.

والغى الاستاذ اده هذه الوظيفة التي رأى عقمها، وتثبت من عدم فائدتها فكان هذا الالغاء من جملة اسباب نقمة النواب عليه وانكارهم له، فما كان منهم الا ان عمدوا الى تقريرها وارجاعها، ليرضوا الاتباع وينفحونا بمثل هذا الجابي اللطيف الذي نحن بصدده.

ومن لقن الجابي هذه الاوامر واعطاه هذا «البتع» يا ترى؟

اهي الحكومة اوحت له ان يستولي على طنجرة الفقير، ولحاف الارملة ليبيعهما ويدفع الدريهمات الناتجة عنهما الى صندوق الحكومة، ليتناوله الموظفون

الذين لا فائدة من وجودهم، والذين لا يؤدون الى الامة غير المصائب والضربات؟

ام ان هذا الموظف يحكي من عنده ويفعل ما يوحيه اليه عقله ؟

اذا كان الاول فخير لهذا الشعب ان يسلم مفاتيح بيوته وموجوداته ودجاجاته لهذه الحكومة، وليشنق نفسه او ينتحر بالطريقة التي يستسهلها، بعد ان تعذرت عليه الحياة، وشق عليه تحصيل الاموال وتقديمها الى حكومته.

واذا كان الثاني، فمن واجب الحكومة ان تبعد هذا الجابي وامثاله عن خدمتها، هذا اذا كانت تجرأ على ذلك، وكانت لا تخاف غضب سيده النائب وغضب رفاقه معه.

ان حكومات العالم اجمع تسعى في هذه الايام العصيبة لتخفيف الضرائب عن شعوبها او اعفائهم منها، لانها تدرك حراجة موقفهم، فمن الحيف ان تقدم حكومتنا على ابقاء الضرائب على حالها او ان تخلق ضرائب جديدة ترهق بها شعبها.

والحكومات الاخرى تعطف على العاطلين وتطعمهم وتسقيهم وتؤاويهم فمن العار ان يكون لهذه الحكومة جباة يحجزون الطناجر والافرشة من بيوت الفقراء والجياع ويضطهدونهم ويعذبونهم، من اجل ضرائب وضعت عليهم بفداحة وجور.

ايتها الحكومة، ان الشعب جائع فدعيه على الاقل يموت ويتلاشى بسكون.

ايها النواب، ان الامة التي تغذيكم بدمائها، وتورم جيوبكم باموالها، على فراش النزاع، فلا ترقصوا على قبور ابنائها.

جيش لجب من الموظفين لا حاجة لنا به فسرحوه، ضرائب باهظة لا قبل لنا بتحملها فازيحوها عن صدورنا، والا فعيشوا انتم ولنمت نحن جميعاً فدى جاهكم وغناكم واستهتاركم.

اين الارادة والكرامة

في لبنان، وفي المانيا، ضجة حول انتخاب رئيس للجمهورية، ومع جسامة الفرق بين الامتين اللبنانية والالمانية، في العدد والقوة والحجم والاستعداد، فان لكل منهما جمهورية لها مجالسها ووزاراتها ودوائرها وموظفوها.

ثار الشعب الالماني فدك عرش غليوم واعتنق النظام الجمهوري، وشاء المسيو دي جوفنيل فكان للشعب اللبناني جمهورية ودستور، وشتان بين عمل يعمله الشعب وعمل يجريه عليه الآخرون.

وليس بلاء لبنان في الجمهورية والدستور بذاتهما، بل بتفسير هذا الدستور وبالثوب الفضفاض الذي البسوه لهذه الجمهورية.

ان الشعب اللبناني المتشبع بروح الحرية والاستقلال يهوى النظام الجمهوري ويستلذ الحياة الدستورية، ولكنه وقد استنزف هذا النظام قواه وثروته، ومررت هذه «الحياة» حياته ونكدت عيشه، يكاد يكفر بنعمتها ويخرج عليها، لان الآمال التي عقدها عليها، قد خابت والاماني اللذيذة التي تلهى بها سنيناً عدة قد تلاشت كما تتلاشى الاحلام والاوهام.

يشترك في المانيا افراد الشعب في انتخاب رئيس الجمهورية فيستطيع بهذه الوسيلة ان يعبر كل الماني عن رأيه في انتقاء الرجل الصالح حسب اعتقاده لتولي دفة الدولة وتسيير سفينتها الى شاطىء السلام والامان.

اما عندنا في لبنان فان ارادة الشعب ومشيئة الناخبين، ليستا سوى قول هراء لا يلتفت اليه احد ولا يعتد به.

ولئن كان البرلمان الافرنسي ينتخب هو الرئيس فهذا لا يعني ان الامة الافرنسية لا تشترك بانتخابه بل بالعكس فان الامة هي التي تنتخبه بواسطة

نوابها الذين يمثلونها حقيقة ويعبرون عن ارادتها بالفعل، بخلاف نوابنا الذين لا يمثلون غير انفسهم، ولا ينطقون بغير السنة منافعهم واهوائهم وجيوبهم، لانهم لم يرتفعوا الى منصاتهم على اكف الناخبين، بل علوا اليها على رؤس الحراب وبلغوها بالتلاعب والرشوة والتزوير.

ان لكل مرشح في الجمهوريات الاخرى برنامج معروف يعلنه على الملاء ويطلب الرئاسة على امل تحقيقه، اما هنا فكل ما لجيش المرشحين عندنا من البرامج، التقرب الى المفوضية والترامي في احضان العميد، لان هذا وحده في نظرهم يوصلهم الى غرضهم الذي يتوقون اليه وهو الوظيفة وخيراتها ومجدها ضاربين صفحاً عن ارادة الامة، غير آبهين بالنواب الذين باستطاعتهم وحدهم حسب نصوص الدستور، رفع رئيس الجمهورية الى سدته لا سواهم، لانهم يعرفون ان لا ارادة لهم بانفسهم وانهم ليسوا في حقيقتهم، كما برهنوا مراراً عديدة غير ابواق ينفخونها وطبول يقرعونها فتخرج الاصوات التي يريدونها ويرتاحون اليها.

ان كل الماني وكل اميركي وكل افرنسي يفكر عند انتخاب رئيس دولته بالخدمة التي يمكن لهذا الرئيس ان يقدمها للامة. اما النائب اللبناني فلا يفكر الا بامر واحد هو المنفعة الشخصية التي يمكن ان يجتنيها من وراء صيرورة فلان رئيساً، والنفوذ الذي يحرزه من وراء تربع فلان في كرسي الرئاسة والا لو لم تكن الحال كما ذكرنا، لكان النواب يقفون دون كل تدخل داخلي او خارجي بهذا الشأن، والا لما قبلوا ان يكون، وهم اصحاب الحق، اي يد لسواهم مهما يكن شأنه ومركزه، في اتمام هذا العمل. ولكنه الخنوع، ولكنه الحرص على الراتب المجبي من الفقراء والايامى واليتامى، ولكنه التزلف الدنيء يحدو بالنواب لتناسي كراماتهم واغفال شرف وكالتهم، ويدفعهم لركوب مركب لا يؤدي بهم الى الاعتزاز والتفاخر، ولو شاؤوا لظلوا مرتفعي الجبين معززي الجانب

مرفوعي القدر .

لقد عجب البعض من اعلان مندوب المفوضية تدخلها في قضية الرئاسة وكان احرى بنا ان نعجب لو اعلن انها لا تتدخل في الامر ، ولماذا لا تتدخل وتفرض ارادتها فرضاً على نواب المجلس طالما يدورون حولها ليلا ونهاراً استنزالا لرضاها ، وانصاتاً لسماع كلمة تهمسها في آذانهم ، ليجعلوها صلاة وتسبيحاً يترنمون بها ويستميتون في اجابتها .

ان المرشحين جميعاً انتدابيون وافرنسيون اكثر من الافرنسيين انفسهم ومع ذلك فان النواب لا يجرؤون ان ينتخبوا واحداً منهم ، بغير ان يتلقوا امراً بانتخابه من الطور الاعلى ، فما شأنهم اذن لو تعارضت يوماً مصالح وطنهم مع مصالح الدولة المنتدبة او خالفت رغبات بعض رجالها ، انهم ولا شك يضحون بامتهم وبمصالحها على مذبح الوظيفة والمصلحة الخاصة ، وهذا ليس من الامانة والشرف على شيء .

لتكن الجمهورية ، وليكن الدستور ولو معدلا ، ولكن لتقطع هذه الزوائد العالقة بالجمهورية كالطفيليات تتأكلها وتفنيها وتشوهها ، ولتلغ هذه الوزارات والمجالس والدوائر التي لا خير فيها ولا فائدة منها ، وليفض هذا البرلمان الذي ليس سوى عبء ثقيل على كاهل الشعب الفقير المسكين الواقف على شفا جرف هار من الجوع والموت ، وليخلق لهذه البلاد الصغيرة وضعاً يلائمها من حيث الاقتصاد والتوفير مع المحافظة على النظام والامن وحقوق الناس ، لان هذه الفخفخة وهذا الانتفاخ ، لم يعودا علينا بغير الوبال والهوان . فالرئيس الذي يفعل ذلك هو الذي يجب ان ينتخبه النواب اذا شاؤا ان يتكلموا بلسان الامة المحتضرة ، واما اذا ارادوا ان ينصرفوا لمراعاة جيوبهم ومصالحهم وخير محاسيبهم فليفعلوا ما يشاؤون فان يوم الحساب غير بعيد ، وليست المحنة التي تجتازها الامة

سوى اختبارات قاسية تعلمها كيف يجب ان تتصرف في المستقبل القريب وتنبهها الى الرجال الذين يجب ان تضع بهم ثقتها وترفعهم الى ارائك النيابة ليدافعوا عنها ويذبوا عن كرامتها .

١٦ اذار سنة ١٩٣٢

ليست احزابًا بل حماقات

الاحزاب في هذه البلاد ؛ شركات تجارية يستثمر قادتها عواطف المتحزبين لهم وجهودهم ، لمصلحتهم الخاصة ، ضاربين بالمصلحة العامة عرض الحائط ، لا يثني عنان طمعهم ثانٍ ، ولا يكبح جماح جشعهم ضمير .

وما عسى ان تكون احزاب ، لا تنبثق من غير الناطور والمختار ورئيس البلدية ، ولا ترتكز الا على الكذب والنفاق والخداع ؟ . .

ان الطامعين بالمراكز العالية والجاه العريض والغنى القريب يجدون في الحزبية اوسع باب للرزق واقوى دعامة للنهوض وخير سبب للظهور ، فهم يستغلون النوايا السليمة والقلوب الطيبة بخداعهم و كذبهم ونفاقهم ، لاجل الانتفاع وبلوغ الارب غير آبهين بالاعوان والانصار ، بعد مـا يستنفدون جهودهم ويستنزفون قواهم لا بل انهم ينكرونهم ويهزأون بهم ويغدقون عليهم التهم ، ويستغيبونهم متى خيل اليهم انهم ضعفوا ، او انهم ابتلوا بكارثة او حلت بهم محنة ، وهذا لعمري ابعد ما وصلت اليه الحزبية من السخافة وشر ما بلغت اليه الوجاهة من الحطة والزعامة من الزيف .

ليس لحزب من الاحزاب هنا هدف معلوم ، او برنامج معروف ، ليكون للمنخرطين في عداد اعضائه ، مبدأ خاص يتقيدون به ، ويناضلون عنه ، وانما هي صداقة تحزمهم بعضاً الى بعض ، ومنفعـة تؤلف بينهم ، فمتى امتهنت هـذه

الصداقة واحتكرت هذه المنفعة، انفخت الدف وتفرق العشاق.

ان الرجل الحر يأبى مهما تساهل في حقوقه، وهاود في كبريائه ان يكون مطية لغيره يركبها الى غرضه، حتى اذا تربع في كرسيه او قبض على غايته تجاهل وجوده واغفل جهوده ونسي تضحياته.

ان الرجل الابي، لا يحترم الرجل مهما علا شأنه، وارتفعت منزلته، وسمت وظيفته اذا لم يصن كرامته ويحفظ له مقامه.

والرجل النزيه «يقرف» من المشاهد المبتذلة التي تمثل على مسرح الحزبية والتي يندى لها الجبين خجلا وتغضي الرؤوس حياء.

ليس ما عندنا حزبيات بل حماقات وشعوذات، ولا من عندنا من طلاب وظائف وعشاق مراتب، قادة وزعماء، بل اصناماً وخيالات، فاذا استمرت البلاد على ما فيها من المشادات العقيمة التي لا خير فيها ولا اصلاح من ورائها، فان الخراب والدمار نصيبها، واذا بقي الناس على انغماسهم في حمآتها، واندفاعهم مع تيارها، فان الهوان منقلبهم والبؤس مرتعهم.

ليفتح النائمون عيونهم، ولينتبه الغافلون من رقدتهم، وليعمل العاملون لاجل وطنهم وامتهم، قبل ان يعملوا لنفوسهم وجيوبهم، والا فلنحن رقابنا للانيار وظهورنا للركوب، فما الرجال المستسلمين الخانعين غير سوائم تسير، وبهائم تقاد.

واذا كان مثل هؤلاء يهون لديهم هذا الاذلال وهذا الارهاق، فانه وايم الحق ليصعب على غيرهم من ابناء هذه الامة، المطبوعين على الشمم، المشهورين بالاباء، فجدير بهذا الشعب ان ينظر الى المستقبل بعين البصير الحكيم، فلا يولي ثقته خائناً ولا يرفع وضيعاً ولا يسلط جشعاً.

٢٤ اذار سنة ١٩٣٢

تضخم الشكل الحكومي

لقد هزلت هذه الامة، وجف ضرعها، فما هي غير جلد منشور على عظم ليس فيها لحم ولا رواء، ومع ذلك فان رعاتها يجدون في استثمارها وحلبها، كأنهم لا دأب لهم غير هذا العمل المرهق لها، المنتج لهم، وكأنها لم تخلق الا لتغذو بلحمها ودمها، قوماً لا يحسون معها ولا يتألمون لها، وتروي بدرها اوامهم الى المجد الفارغ والجاه المزيف والغنى الباطل.

حسبت اولا ان الحكم المباشر سبب العلة وموجد الكربة ومنشيء الغمة فهللت للاستقلال وهللنا، ثم كبرت للجمهورية و كبرنا، فاذا بالعلة تتفاقم وبالكربة تزداد وبالغمة تنتشر وبالبلاء يكتنفها من كل جانب.

فلم تكن الوزارات ودواوينها والدوائر ومن فيها، وبرلمانها وابطاله، غير اعباء جديدة ثقيلة، تهد قواها وتوهن احتمالها وتخمد انفاسها وتنضب ماء الحياة فيها.

وسكر النواب بندوتهم، واغتروا بقدرتهم، وثمل الوزراء بمعاليهم، وازدهوا بنفوذهم فراحوا يتوسعون في الوظائف ويتبسطون في الانفاق، فخلقوا الوظائف للمحاسيب واوجدوا التنفيعات للاخصاء، حتى وقعت الميزانية في العجز فلم يبق امام الحاكمين بامرهم الا ان يزيدوا الضرائب على ابناء الشعب، ويرفعوا المتوجبات عليهم، فكان الشعب يعطي حتى لم يعد في جيبه ما يعطيه، وكان يحتمل مصائبه بالشكر حتى لم يبق في استطاعته ان يتحمل، فوهن ووهى واستنجد واستغاث فلم يلب له نداء ولم تستمع له شكاية، وكان القانون تلو القانون، والنظام عقب النظام، وكلها آفات تنخر في جسمه، وقيود ثقيلة في عنقه، وهل قانون التمتع الجديد بقطع النظر عما سبقه من القوانين، غير ضربة قاضية على الامة اللبنانية وهل هي غير حربة مسمومة تسدد الى صدرها بلا شفقة ولا رحمة؟

الطبيب والصيدلي والمحامي ، الزارع والصانع والتاجر ، الاسكاف والسنكري ومعزل المراحيض الخ ... كل هؤلاء وغيرهم ممن يهب ويدب في انحاء هذه الجمهورية ضحايا هذا القانون الجائر الذي تشمل ضربته الجميع بلا تفرقة .

لو كان الحال ماشياً ، والشغل متيسراً والارباح متوفرة ، وجاءت الحكومة بهذا القانون المفجع ، لقلنا انا لله وانا اليه راجعون ، ولكن ان يوضع في مثل هذه الايام العصيبة ، التي لا يكاد يجد فيها المرء بلغته من العيش ، فان السكوت عنه والقبول به لما لا نستطيع اليه سبيلا .

ها هم الاطباء والمحامون والصيادلة وغيرهم من الهيئات التي لها تأثيرها في سير الحياة العامة ، اعلنوا استهجانهم لهذا القانون ، واعتزموا الاضراب اذا اصرت الحكومة على تنفيذه ، كانت المغبة ما تكون ، والعاقبة ما تقع ، وهذا ليس سوى نتيجة اليأس والقنوط المستحوذين على جميع الناس بالسواء .

وليست كل هذه الاموال التي جبيت وستجبى ، تصرف في النفع العام وفي الاصلاح والعمران ، بل جلها ان لم نقل كلها تذهب الى الجيوب ، جيوب الموظفين من كبار وصغار ، ليعيشوا بالرغد والرفاه ، بينما يموت الآخرون جوعاً ويساقون الى السجون بسبب الافلاس والعجز ، او يعيشون في شظف ويبيتون على الطوى .

ان الضرائب والضريبات ستبقى على كاهل هذا الشعب المسكين ما زالت حكومته ومجالسه على هذا الشكل العقيم ، فاذا وجد الاخلاص والرغبة بالاصلاح فليبدأ بالتشحيل والتهذيب وقطع الزوائد ، وعندئذ تخطو البلاد الخطوة الاولى في سبيل الاقتصاد والراحة ، وينفتح باب ولو ضيق للامل في الحياة الحرة ، التي نتبجح باننا نرتع في بحبوحتها ، ونتفيأ في ظلالها وما نحن عن ذلك غير بعيدين وجد بعيدين .

انى التفتنا ، وكيف سرنا ، لا نسمع سوى الشكاوي المرة من هذه الحالة التي نعاني شرها ، ونقاسي اذاها ، فاذا رددنا نحن صدى هذه الشكاوي ، فا نكون فعلنا غير الواجب ، ولا خير في صحيفة لا تنتصر للامة الشقية على الحكومة المشقية ، ولا بارك الله في قلم لا يرهف للدفاع عن حقوق شعب يضيره الجور وتنهكه الضرائب ، ولا كرامة لحكام لا تلامس قلوبهم الرحمة ولا تخالج ضمائرهم الشفقة ، ومن احوج بهذا الشعب الهزيل من الشفقة والرحمة يا ترى ؟

لبنان بالامس واليوم

بالامس كان لبنان صغيراً « متصرفية » حاكمه فرد ؛ ومجلسه اثنا عشر عضواً ؛ وجنده قبضة من الرجال ؛ وميزانيته خمسون الف ليرة عثمانية ، وكان الامن باسطاً عليه لواءه ؛ والعدل سائراً في مجراه والسعادة منتشرة بين اهله حتى غبط الآخرون من له مرقد عنزة في حماه .

واليوم اصبح لبنان كبيراً « جمهورية » حكامه لا يحصيهم عد ؛ وبرلمانه خمسة واربعون نائباً ، ودوائره وملاجؤه وتكاياه متعددة ؛ وميزانيته ستة ملايين ليرة ؛ الفقر فاغر فاه ليبتلع سكانه ، والكساد والبطالة متحكمان في تجاره وصناعه وعماله وفلاحيه ؛ والفوضى ناشبة اظفارها في اخلاق بنيه وبناته ، والذل والخنوع متغلغلان في نفوس كبرائه وعظمائه واصحاب الامر فيه .

كان اللبناني من قبل يعيش في لبنانه الصغير ، مرتفع الرأس قرير العين يمد رجليه على قدر بساطه ، واصبح اللبناني اليوم يقضي ايامه في لبنانه الكبير ؛ مخفوض الهامة ؛ منتهك الكرامة ، قلق الخاطر ، يسرف في اجهاد قواه لتغذية سواه ؛ ويحرم نفسه ليغدق على غيره النعم والملذات .

وكان اللبناني النازح عن ارزه وصنينه؛ يتشدد بالذكرى ويتقوى بالامل فيكافح الاخطار ويغالب الشدة، ليربح ويثري ويعود الى مسقط رأسه مثقلا بالذهب مجملا بالاختبارات، فيشيد المنازل وينشي المزارع ويفتح المتاجر؛ فاصبح اليوم ذلك اللبناني الصميم غريباً عن وطنه محروماً من نعمة الانتساب اليه؛ للارمني والسرياني والكلداني والكردي وغيرهم في وطنه من الحق اكثر مما له؛ لا تنظر حكومته اليه برعاية، ولا يستفز مجلسه الاجحاف اللاحق به؛ ولا يشجعه الاثنان على الرجوع الى قبلة آماله لاستثمار امواله، لان الغريب مفضل عليه والبعيد احظى منه بالحماية والتنشيط.

وكانت المزارع في لبنان آهلة؛ والحقول مزدهرة؛ والاراضي منتجة، لان اللبناني كان فخوراً بمحراثه؛ معجباً ببقراته؛ ولوعاً بمغزله، مغرماً بصنعته. اما اليوم فقد خلت مرابعه وبارت حقوله وعقمت اراضيه، لان التقليد قد اعماه وبهرته المدنية الزائفة؛ فهجر المحراث وطلق العمل ولجأ الى الدواوين مستوظفاً طمعاً بالكسب الهين والزهو الفارغ والمجد الباطل.

كان لبنان صغيراً فامسى كبيراً، هذا ظاهراً؛ وكان كبيراً فغدا صغيراً؛ هذا حقيقة.

ظن الرؤساء انهم يسدون الى لبنان معروفاً في ضم الملحقات اليه، وحسبوا انهم يحملونها جميلا في ادخالها بحدوده؛ وكرت الاعوام، فاذا بلبنان يخسر امتيازاته ويفقد طمأنينته؛ واذا بالملحقات لا تستفيد شيئاً ولا تجني منفعة.

كان اللبناني يدفع سبعة غروش في السنة للحكومة؛ اما اليوم فان الحكومة تقاسمه محاصيله وارباحه وصيده، وتنازعه في روحه وراحته؛ فاذا شكا فانما هي حشرجة الصريع؛ واذا بكى فانما هي دمعة اليأس، واذا استجار فبالله الذي لا ملجأ لمظلوم سواه.

اعيدوا الى اللبناني حريته واستقلاله وخذوا مقابلها كل ما ضممتم اليه من الخلق كرهاً وقسراً ؛ وما الحقتم به من الاراضي التي لم ترد عليه الا الضرائب والنقمات .

ارجعوا اليه طمأنينته ورفاهه وسامحكم الله بالجمهورية والوزارات والمجالس والدواوين التي لا طائل تحتها ولا فائدة منها غير ارهاق الجيوب وتمزيق القلوب وتنغيص الحياة واشمات العداة .

١٥ نيسان سنة ١٩٣٢

مرحباً برجل الدين والدنيا

كلمة ترحاب بصاحب الغبطة الجليل البطريرك الماروني في (انفه) بطريقه الى طرابلس يوم ٢٦ حزيران سنة ١٩٣٢

القلوب تخفق بحبك ؛ والرؤوس تنحني اجلالا لك ؛ والجماهير تتدفق للترحيب بقدومك ؛ ايها السيد الجليل الذي يفيض قلبك بالاخلاص والرحمة والتضحية ؛ وتشع نفسك بالفضيلة والطهر والقداسة ، ويتلألأ محياك بالهيبة والقوة والوقار ، اما رأسك فمكلل بالمجد متوج بالكرامة .

قبل ان ترتقي سدتك العالية ، كنت مستوياً على عرش الشمال ، ذكرك الطيب ملء الافواه ؛ وصدى اعمالك البارة يتردد في كل ناحية ؛ يوم بعث صليبك لاغاثة المعوزين ؛ وقبضت على المحراث بيدك الناصعة لتنبت للجياع خبزاً وغذاء ، وتحملت كل عذاب وشدة ؛ في تخفيف عذاب المضطهدين وشدة المتضايقين ؛ في تلك الايام السوداء التي سيطر فيها الظلم والارهاق على ابناء وطنك ومزق الاحتكار والجوع والتشريد جموع اللبنانيين الاعزة ؛ فكنت لحزنهم عزاء ولسغبهم شبعاً ولجراحاتهم بلسماً شافياً .

لم يلهك الدين وانت من خدامه الامناء الملتهبين بالغيرة المسيحية والايمان الصحيح عن الاهتمام بالمشاريع العمرانية التي تفتح للعاطلين ابواب العمل والارتزاق وتشق للبلاد درباً من دروب الاستقلال الاقتصادي ؛ وها هو معمل الترابة الرابض على الشاطيء كما تربض الجبابرة ؛ يتصاعد دخانه في الفضاء ، ناشراً علم جهادك ونضالك ؛ وها هي اصوات محركاته الضخمة تضج اكباراً لثباتك وطويل اناتك ، وها هم الناس يبنون بيوتهم بنتاج سعيك وثمرة اجتهادك ايها الساعي للخير العامل للبناء .

واليوم وانت المتربع سعيداً في كرسي بكركي الذي لا يتزعزع ؛ عميد يلتف حولك اللبنانيون ؛ المسلم قبل المسيحي ؛ والارثوذكسي قبل الماروني ؛ لانك للكل ومن كان للكل فالكل له رعية والكل له اتباع .

المظلومون الذين رفعوا اليك ظلاماتهم انتفت عنهم المظالم ، والمتعبون الذين شكوا اليك اثقالهم ؛ القيت عنهم الاعباء ؛ والامة التي مشت اليك مستغيثة من جور المتحكمين بمقدراتها ؛ العابثين بكرامتها ؛ المتنافسين في الانتفاع على حسابها ، قد وجدت بك موضعاً للامل ، ومبعثاً للفرج .

لقد انتثرت دموعك على وجهك ، كما تنتثر حبات الندى على زهرة عاطرة يوم استعرضت امامك نكبات هذه الامة ؛ وتمثل لك الشقاء المستحوذ عليها وبدا لك قصور الذين ارغمت على توكيلهم عنها ؛ فلم يحرصوا على الوديعة التي استودعوها وهي شرف لبنان وكرامة اللبنانيين ؛ اذ انشغلوا بالحزبيات العقيمة والمناورات السقيمة عن مصلحة الامة وراحة المكلفين ؛ فضاق الخناق واشتدت البلوى ؛ وكان من رغبتك في الاصلاح ان بدأ التشذيب في شجرة الجمهورية والتقصير في ثوبها الفضفاض ، وسوف لا تني تتبع ايها السيد ، بملء العناية والدقة ، الخطوات الخطيرة التي تخطوها حكومة اليوم ؛ فتدلي اليها بالنصائح السديدة

والارشادات الثمينة ، لكي يأتي الوضع المقبل مستقراً على دعائم الاستقلال والاقتصاد فيعود الدستور دستوراً كاملا لا ملهاة ، وترجع الجمهورية جمهورية حقيقية لا مأوى للعجزة وخواناً لعباد البطون .

يتطلع اليك اللبنانيون من جميع الطوائف في كافة الانحاء ؛ محقق امانيهم يا مناط الآمال ومعقد الرجاء .

مرحباً برجل الدين والدنيا ؛ مرحباً بالمولى الجليل ؛ لك تخفق القلوب حباً ؛ وتنحني الرؤوس ترحيباً واجلالا .

الرب اعطى والرب اخذ ...

لم يسمع في لبنان ؛ يوم قوض المسيو هنري بونسو في ٩ ايار سنة ١٩٣٢ اركان « الخيمة » التي رفعها المسيو دي جوفنيل في ٢٧ اذار سنة ١٩٢٦ وحطم الاصنام التي نصبها المسيو سولومياك في زوايا سراي البرج في ١٨ حزيران سنة ١٩٢٩ ؛ غير هتاف السرور وتصفيق الاستحسان ؛ لان الناس سئموا المهازل السخيفة والمآسي الفظيعة التي مثلها المشعوذون ، طيلة ست سنوات على مسرح هذا الوطن الصغير المحبوب .

ولماذا الاسف وعلام البكاء ؟ دستور تفضلوا به علينا ثم انتزعوه منا ؛ وجمهورية خلقوها لنا ، ثم كفنوها على مشهد منا ومسمع ؛ وبرلمان انشأوه ثم اوصدوا ابوابه بعد ان طردوا المتربعين سعداء في ارائكه .....

الدستور الذي لا يكتب بالدماء ؛ لا يفتدى بالارواح والمهج ، والاستقلال الذي لا يشيد على الجماجم ، لا تجرد لحمايته السيوف والخناجر ؛ والرجال الذين لا يفقهون للتضحية والكرامة معنى ، فيعيشون اذلاء جبناء ؛ لا يؤسف عليهم ولا يبكون ؛ لان موتهم خير من بقائهم ، ووجودهم شر من عدم وجودهم .

اية سيادة قومية تمتعت بها البلاد في ظل الحكم الجمهوري ، واية نعمة اسبغتها الحكومات الدستورية على الرعية ؛ واي موقف مشرف وقفه النواب دفاعاً عن حقوق الامة وزوداً عن مصالحها ؟

خنوع واستسلام ، ضرائب وضريبات ؛ رشوة ومؤامرات ، هذا كل ما كان في جمهورية الاخوان ؛ وهذا ما اهاب باللبنانيين قاطبة لاستصراخ المفوض السامي واستنهاض همته ، لتبديل الحالة الراهنة المرهقة ، ووضع حد لهذه الفواجع النازلة بالبلاد عن طريق ابنائها غير الابرار .

هل تورعت الحكومات المتعاقبة عن تلبية كل اشارة تهبط عليها من فوق ، ولو كان في ذلك معارضة لمصلحة الوطن واستهانة بعزته ؟

ام هل تردد مجلس النواب في تقرير مشروع او قانون ولو كان فيه خراب لبنان وهلاك اهله ؟

هل رد وزير لنائب طلباً ؟ وهل اهتم نائب من النواب — غير نزر قليل منهم — بغير تعيين رئيس بلدية او مختار او ناطور ؟

واي رئيس او مختار او ناطور لم يدفع ثمن هذا العطف غالياً وغالياً جداً ؟ ...

ما زال الدستور ملهاة تخترقه الاصابع — كما دعت المصلحة غير الوطنية الى خرقه — فاي نفع منه واي خير يرتجى لنا في ظله ؟

وما دام القائمون على حراسته اصناماً لا ارادة لهم ولا كرامة فاية حاجة لنا بهم ؟

قبض المعاشات وتنفيذ الغايات وتنشيط السمسرة والارتكابات ؛ كل ما سعت اليه تلك الزمرة المنبوذة التي خير ما ترمي اليه اليوم ان يغفر لها الشعب الذي اذنبت اليه وينسى المساوىء التي غمرته بها عمداً وتصميماً .

كلنا ننشد الاستقلال وكلنا نهوى الحياة الدستورية ولكننا لا نريد قشوراً ولا نطلب صوراً لا حقيقة لها .

ليس الاستقلال بالالقاب الضخمة ومظاهر العظمة الفارغة ، وليست الحياة الدستورية بالمجالس والدواوين ، بل هما بان نعيش في بلادنا احراراً لنا فيها من الحقوق ما للاجانب والشذاذ على الاقل ؛ لا يرفع علينا عقبه احد ؛ ولا يهيننا في عقر دارنا انسان .

متى كانت كرامتنا موفورة واعمالنا رائجة وصناعتنا ناشطة وزراعتنا منتجة فنحن مستقلون .

واذا كان العدل باسطاً لواءه والحرية الشخصية مصونة ؛ والمساواة شاملة والحقوق محفوظة والسمسرة معدومة ؛ فنحن في ظل وارف من الحرية والعيش الهنيء ؛ وكل حياة اخرى نحياها باجحاف وارهاق وذل فهي حياة عبودية برغم الدستور المعلن والالقاب الموزعة والمجالس الحافلة بالخيالات .

الشعب اللبناني يطلب ان تحفظ سيادته الوطنية وتصان امواله وتخفف أعباؤه فمن يساعده على ادراك بغيته يصنع معه معروفاً لا ينساه .

الامة اللبنانية تطلب الاصلاح المقرون بالاقتصاد فمن يأتيها به يكون معبوداً لها .

اما ان يعلق الدستور وتعطل الحياة النيابية ؛ ويفسح لبعضهم مجال التشدق والهذر ؛ ويبقى القديم على قدمه فهذا شر اعظم ومصيبة ادهى ، فلينتبه المضطلعون بالمسؤولية لئلا يجيزوا ان يقال من الدلف لتحت المزراب ،

٣٠ آب سنة ١٩٣٢

حكمة الرئيس وثاقب نظره

يحوم اللبنانيون بآمالهم ، حول فخامة الرئيس الدباس الآخذ اليوم بيد البلاد ، في طريق الاصلاح والاستقرار ، بعد ان خبطت بها الحكومات والمجالس السابقة خبط عشواء ، في قفر من الفوضى والتبذير والاستهتار ؛ ويقابلون اجراءاته الحازمة بمنتهى السرور والابتهاج ، لانهم عجموا عوده ، واختبروا اخلاقه ؛ فعرفوه ينبوعاً للنزاهة والتجرد ، ومثالا للعدل والحزم والغيرة .

فاذا طربوا لاعماله ؛ وصفقوا لمراسيمه ؛ فانما يطربون للاصلاح ، ويصفقون لانقضاء عهد التحزب والوساطة والرشوة ، ذلك العهد الذي فرق بين الاخ واخيه ؛ والجار وجاره ، والصديق وصديقه وخلق في البلاد جواً مكفهراً مشبعاً بالبغضاء والنميمة والشر ، بفضل السياسة النفعية التي اعتنقها بعض النواب ، واستبسل في تقويتها وانمائها بعض الحكام

رأى فخامة الرئيس ما في الشمال من اشتداد ثورة الحزبية الممقوتة ، وتفشي داء المحسوبية الذميم ؛ فاعتزم اطفاءها وملاشاتها ، وما هو الا يوم يليه يوم ، حتى اصدر مرسوماً يبعد به موقد تلك النيران ومسعرها ؛ ومربي ذلك الميكروب وناشره ؛ فهلل الاهلون سروراً وفرحاً وقدروا عمل الرئيس المنزه عن كل نعرة وهوى قدره ؛ فابرقوا اليه شاكرين ممتنين ؛ واقاموا معالم الزين ؛ في جميع الانحاء ، شاهداً على لاحزبية الرئيس وتجرده ؛ لا شماتة بالمحافظ او نكاية به .

ان الذين طيروا برقيات الشكر محتفين بالمحافظ الجديد ؛ لم يخشوا يوماً ان يحاربوا المحافظ السابق ؛ وهو في برج سعده واوج نفوذه ، ولم يجبنوا عن شكايته جهاراً ، واظهار مساوئه وتعداد مخالفاته علناً ؛ وهو بعد في مركزه تحف به زمرته واعوانه من السماسرة والازلام الذين فقدوا بافول « بدرهم » عزهم ؛ وخسروا

اسباب رزقهم ...

ان فخامة الرئيس ثاقب الرأي بعيد النظر ؛ وقد اجرى هذا التدبير الاداري الصائب ، لخير البلاد وفلاح اهلها ، فاذا اراد احدهم الاحتجاج من طرف خفي على عمل الرئيس ، امتثالا للسياسة والاغراض ، فهذا لا يعني ان الشماليين يجب ان يسهوا عن واجبهم في تقدير الصالح ولا ان يخفوا سرورهم بانبلاج فجر عهد جديد ، حافل بالاعمال المثمرة ، والمآتي النافعة ، مراعاة لاحساسات رجل اساء اليهم في كرامتهم ومصالحهم .

ان فخامة رئيس الحكومة لا يعنى الا بصرف الاذهان الى العمل المفيد وهو اعدى اعداء الحزبية والعامل على قتلها وابادتها ، لانها مجلبة الضرر والفوضى والخراب ، وفي التدبير الاداري الاخير الذي اجراه ، بنقل محافظ لبنان الشمالي وتعيين كامل بك حميه خلفاً له ، هو انصع برهان على محاربة فخامة الرئيس لداء الحزبية الوبيل ، واسطع دليل على رغبته في تهيئة اسباب الفلاح والرقي والهدوء للشمال ، كما نقول نحن ويقول الشماليون عامة ، بعد ان عانت طرابلس وسائر اجزاء المنطقة من السياسة العقيمة ، اشد البلايا واروع النكبات .

الى سعادة المحافظ الجديد

ثقة اولا كها فخامة الرئيس ، فولاك هذه المحافظة لترأب صدعها ، وتلم شعثها وتصلح حالها ، بعد ان مزقتها سياسة التفريق ، وبددتها عوامل الحزبية ، وافسدتها الاغراض الخاصة ، فاصبحت كل بلدة ، وكل دسكرة بل كل بيت مثاراً للنزاع ومنبتاً للفتنة ، وحلبة للتنافس بالايذاء والانتقام .

فهنالك زعامات مستحدثة ، ووجاهات مبتدعة ، مع زيفها وبطلها ، ذات حول

وطول ، كلمتها نافذة ، وشفاعتها مقبولة ، وارباحها مكفولة .

وهناك رؤساء بلديات ومختارون — ونواطير — سوندوا في وظائفهم ، على جهلهم وعجزهم ، بدافع المحسوبية او بدائق النكاية ، او لامر آخر ، فكانوا مصائب على الاهلين ، وضربات على المصالح العامة ودمامل في جسم الحكومة .

وهنا اذناب سوّدوا ، ورؤوس حوربوا ، وكرامات امتهنت وكفاءات خذلت ، فارتفع هنالك وهناك وهنا ، وفي كل مكان ضجيج التذمر والاستياء وعلا صراخ الاحتجاج والشكاية ، فاذا بك تحل ، على الرحب ، هذه العاصمة والمراجل في غليانها ، والنقمة في ابانها ، فتطاولت اليك الاعناق ، وعقدت عليك الآمال ، فهلا تكون عند الثقة وحسن الظن بك ، فتقطع بنزاهتك وتجردك على السعاة الاشرار والسماسرة الادنياء ، سبيل الكسب الحرام والنفوذ الآثم وتقضي بحزمك ، على الحزبية التي يوجج نارها نفر مهووسون بحب الظهور ، مفتونون بالالقاب الفارغة ، فتعيد الى البلدان والقرى السلام الذي فقدته ، والوفاق الذي فصمت عراه ، وتضرب بيد من حديد على المتجرين بالوظائف المضللين بالزلفى الراحين في بيداء الانانية والجشع ، الراكبين ، في سبيل خزهم المعجون بالدناءة والعار ، « وسلطانهم » المشوب بالذل والاحتقار ، مركب الافك والتضليل ، ولك من الوضع الحاضر نصير على اجراء الاصلاح ، وقطع دابر الفساد ، فلا نائب يسطو عليك او يهدد مركزك ، ولا سياسة وزارات تضطرك للنزول عن عزة نفسك ، واستقلال فكرك ، لتجاري النائب في تأييد مختاره وناطوره ، ومساعدة محسوبه وسمساره ، ولو كان في تأييده قتل المصلحة العامة وضياع حقوق العباد والاساءة الى كرامة الحكومة وسمعتها .

كما ان على رأس الدولة رجل آخذ على عاتقه مسؤولية الاصلاح الذي طالبت به الامة اللبنانية بالحاح وشدة ، فخرج عن عزلته التي اقتضتها التقاليد

في طلباتها ، فاجرى الاقتصاد ، تخفيفاً عن كاهل المكلف اللبناني ، الرازح تحت التكاليف الباهظة التي اثقلته باعبائها الحكومات السابقة والمجلس المرحوم وتوفيراً للاموال الضائعة بين المكافآت والجمالات ، لتصرف على المشاريع العمرانية التي تدر الخير العميم على البلاد واهلها ، وعمل على تطهير الدوائر من رجال الرجعية وابطال العهد البائد المشؤوم ، فاذا شئت يا صاحب السعادة ان تكون لفخامته ساعداً ، ولهذه المنطقة مساعداً ، فجرد ما هو معهود بك من الحنكة وحسن الادارة والاخلاص لتحسن تمثيل ذلك الرجل الفذ في تنفيذ مهمته الكبرى ، وتجيد الدفاع عن حقوق هذه البقعة الشمالية التي نيط بك امرها فتبرىء ذمتك وتوفي قسطك من الواجب ، وتنطق الالسن بالثناء عليك والدعاء لك .

لقد سمعنا كثيراً عن عدلك وتجردك واقتدارك ، لذلك هللنا وكبرنا يوم جئتنا حاكماً ، فعسى ان لا يأتي يوم يقال لك كما قيل لغيرك :

فوافانا وليس له عدو وغادرنا وليس له صديق

لك نطلب التوفيق في مهمتك ولهذه المحافظة نرجو الطمأنينة والوفاق والازدهار في عهدك .

ماذا يطلب الشمال

مر عهد على الشمال مشؤوم ، لم ينبسط فيه لعمرانه ساعد ، ولم تمتد لاصلاحه يد ، بل كان في قبضة السياسة الخرقاء ، كرة تتقاذفها الاغراض وتتجاذبها المطامع ، فما تمهدت طرقاته بعناية ، ولا نشطت مصايفه بدعاية ، ولا طهر ليمونه من اوبائه ، ولا صين زيتونه من آفاته ، ولا خصت مصايفه بحماية ولا اوزرت الدستورية ، واختلط بالرعية ، فتعرف على احوالها واستمع الى شكاويها ونظر

مشاريعه بتعضيد، حتى كاد لولا ما في صدور ابنائه من الحزم والعزم وقوة الايمان، ان يصبح قفراً تتجاوب في اطرافه اصداء الخراب، وتنعق في جوانبه غربان الشؤم.

والشمال قطعة من الفردوس، جنانه فيحاء ورياضه غناء وجباله شماء، وهواؤه بليل وسماؤه صافية، وهو منتجع للعافية ومورد للعيش الهنيء، حباه الله ابهى نعم الجمال وكساه ازهى حلل الابداع، اما اهله فعنوان النخوة والمروءة ومثال الفضل والشمم والاباء.

واليوم، وقد تبدل الوضع الذي لم يكن نصيبه منه غير الحرمان والهوان وافرنقع عنه الرجال الذين لم يخلصوا اولم يحسنوا الخدمة والعمل في حقله، فقد بات الامل معقوداً بان تراعى مصالحه وتحمى حقوقه، ويمنح ما يستحقه من الرعاية، لان الاستمرار في اهماله واغفاله، والمضي في ارهاقه واذلاله، يقضي عليه بالتلاشي والاضمحلال وفي هذا من الخطر على الدولة باسرها ما فيه، لان الشمال اكثر دراً على خزينتها، واسرع في تلبية حاجاتها من سواه من الانحاء اللبنانية فجدير بمن في يدهم زمام الامور ومقاليد الاحكام، ان ينهجوا في الشمال منهجاً غير الذي سلكوه بالامس، ويختطوا خطة غير الخطط التي اتبعوها من قبل فيقصرون الشقة التي انفتحت في العهد الفائت بين الفريقين، وينسخون ما علق في الاذهان من سوء المعتقد بالحكومة والحكام، وينشطون الى العمل المفيد المنتج، باحلال العدل والمساواة، ونبذ التحيز والتحزب، وتحسين الطرقات وتنشيط الاصطياف، وحماية الصناعة الوطنية، والاعتناء بالاشجار المثمرة، واستثمار الينابيع المتفجرة والانهار المتدفقة في توليد القوى وري الاراضي، فينتعش الزرع والضرع وتشتغل الايدي العاطلة، وتمتلىء الاهراء الفارغة، وتروج الاسواق الكاسدة وهذا لعمري سبيل الحياة الحرة والاستقلال المجيد، فاذا تمت هذه الرغبات

انصرف الناس حكما عن الانخراط في السياسة والاندماج في الحزبيات ، فتتلاشى الخصومات وتمتنع المشادة بين الاهل والاصحاب ، فتقر العيون وتطيب النفوس وتطمئن الافكار .

هذا ما يترقب الشمال ان يبلغه في ظل الاصلاح ، وهذا ما يتوق اليه ويرجو تحقيقه في عهد المحافظ الجديد ، فعسى ان يقدر الله للشمال الفوز بما يتمناه انه على كل شي قدير .

٢٨ ايلول سنة ١٩٣٢

كيف يجب ان نعامل المصطافين

هو ذا الصيف على الابواب ، وانفاسه الحرى ما تلبث ان تغمر الاقطار المجاورة بلهيبها ، فيلجأ الموسرون من ابنائها الى جبال اوروبا او جبالنا ليبتردوا بسلسبيلها وينشقوا من نسيمها ، وليقضوا تحت سمائها شهوراً ثلاثاً يجددون في خلالها قواهم المنهوكة ويسترجعون نشاطهم المفقود .

فماذا اعددنا من اسباب المزاحمة ودعايات الترغيب ، وماذا هيأنا من وسائل الحفاوة بالقادمين ، ووفرنا لهم من شروط الراحة والرفاه ؟

كان المصطافون اخصهم المصريون الاكارم لسنين قلائل ، يقصدون سويسرا وغيرها من المرابع والمصايف الاوربية ، يحطون فيها رحالهم ، ويصرفون في فنادقها ونواديها دراهمهم ، واما اليوم وقد ارتبط القطران بالسكة الحديدية وسهلت بيننا وبين العراق وسواها وسائط النقل ، فقد انصرفوا بافكارهم الى لبنان وتحولوا بوجوههم نحو صروده وقماته ، تدفعهم اليه وحدة اللغة والثقافة وتشابه العوائد والتقاليد ، فاذا حال حاجز دون تواردهم اليه وتهافتهم عليه فانما هو تقصيرنا في خدمتهم كما يجب ومعاملتهم كما يليق .

نحن لا نقصد بما نقول ان نستقبل المصطافين بالطبول والزمور وان نحرق امامهم البخور ونطأطيء الرؤوس، وان نسودهم علينا ونحكمهم في رقابنا، لا نحن لا نقصد شيئاً من ذلك وانما نقول بانه يجب ان نسهل لهم على الحدود المرور، وان نضمن لهم في الاساكل الراحة عند النزول، وان نكفل لهم في دوائر الجمرك سرعة التخليص على امتعتهم وحوائجهم. فلرب ساعة يقضيها المصطاف في المخفر وفظاظة يبديها البحارة في المرفأ، وتعنت يظهره المراقب في الجمرك ترد عنا مئات المصطافين وتحرمنا الوف الجنيهات.

اما في السيارات وفي الفنادق فيجب ان نعاملهم برقة وقناعة فلا نتغلظ معهم ولا نطمع في سلب اموالهم، لانهم وان كانوا في حاجة الى تبديل المناخ فانهم يستطيعون الاستغناء عن لبنان بسواه. وان كانوا اغنياء فليست اموالهم نهباً محللا لنا.

نحن نعلم ان اللبنانيين مفطورون على حسن الذوق ورحابة الصدر وعلى الاستقامة وكرم الاخلاق، ولكن الربح قد يزين لبعض الضعاف، فيخرجون على حدود اللياقة والذمة، وبذلك يسيئون الى البلاد ويحرمونها من مورد اصبح في طليعة الموارد التي نترقبه البلاد عاماً فعاماً، لانه يدر عليها من الارباح ما لا تدره الفيالج والحبوب والمحصولات التافهة الاثمان.

اما المحافظة على الامن وصيانة الحريات فهذا من واجب الحكومة ان تتعهدها بما نعرفه فيها من القوة والحزم او الحكمة، وبذلك تشترك مع الاهلين في تنشيط هذا الموسم وتنمية وارداته بزيادة الاقبال ومضاعفة عدد المصطافين.

لقد زادت اثمان وارداتنا عن اثمان صادراتنا وقد انقطعت عنا اعانات اخواننا وابنائنا المهاجرين، ولم يبق امامنا سوى هذه الناحية من النواحي الاقتصادية نسد بها عجزنا ونعوض الخسائر الفادحة التي انزلتها بنا السيارات ومحروقاتها

وكساد محصولاتنا ورخص اسعارها .

هوذا الصيف على الابواب والمصطافون يتأهبون للقدوم الينا فلنستقبلهم على الرحب والسعة لان الفائدة تعود بالنتيجة علينا .

٢٣ ايار سنة ١٩٣٢

يوم سيد العرب في طرابلس

احتفل العالم الاسلامي ، بذكرى ميلاد محمد بن عبدالله ، النبي العربي ، الذي هدى الى معرفة الله ، ملايين من المشركين ، وشيد على دعائم الاسلام الراسخة امبراطورية عظمى ، خضع لسلطانها الاكاسرة والقياصرة ، وارتفعت اعلامها في الشرق والغرب ، من اقصى حدود الهند ، الى ضفاف نهر لوار في قلب اوروبا .

كانت جزيرة العرب منذ الف وثلاثماية وخمسين سنة مرسحاً للفتن ومثاراً للنزاع والخصومات والغزو ، فلما اشرق في سمائها بدر محمد «ص» تبددت الغياهب وانجابت القلوب ، وتوحدت العزائم ، فكانت نهضة فريدة في تاريخ البشرية ، وكانت تلك الوحدة العجيبة ، التي مكنت فئة قليلة ، من تحطيم الوثنية واكتساح الممالك ، وتهديم العروش والتسلط على الشعوب ، والتحكم بمقدرات العالم .

وغزت لغة الضاد سائر اللغات وعزت بما انزله الله بها من الآيات الحكيمة فصارت لغة الدين والدواوين والعلم والفلسفة .

وعلا شأن العرب وضخم ملكهم ، فكانوا خير الامم وكانوا قادة الشعوب وكان محمد بن عبدالله «ص» مؤسس ذلك المجد ، وباني ذلك الشرف ، وخالق ذلك السؤدد ، فاذا احتفل العرب بمولده الشريف ، فانما يحتفلون بذكرى نهضتهم ووحدتهم وانشاء دولتهم ، وانما يذكرون بسابق عزهم وسالف قوتهم ، وانما

يتفاءلون بجمع شملهم ، وارجاع سلطانهم

وبعد فمن احق باحياء هذه الذكرى المباركة ، من ابناء الفيحاء المتشبعين بالعربية الصميمة ، والممتلئين بالغيرة الوطنية الحقيقية .

فقد برزت طرابلس بحلة فاخرة من الجمال والروعة ، اذ كانت اقواس النصر تمتد بلا انقطاع على طول الشوارع ، من اول المدينة لآخرها تكسوها اوراق الصفصاف والدلب الممتدة على اغصانها ازرار الكهرباء ، ترسل انواراً مختلفة الالوان ، وغطيت الشوارع والجدران بالسجاد ، ورفعت على الاقواس لوحات تحمل الآيات الكريمة والاحاديث النبوية التي تلائم بمعناها فكرة التآخي والتحابب بين ابناء البلاد ، وفي الساعة الخامسة بعد ظهر الجمعة ، خرج موكب الجمعيات الخيرية في طرابلس والاسكلة بشاراتها وموسيقاها ، من مقر الكشاف العدناني في حي التل ، فهتف لها الجمع المحتشد هتافاً طويلا ، وتألبت الجماهير في اثر الموكب الذي كان على اكمل ترتيب واتم نظام ، فبدأت الرحلة من حي باب الرمل اول المدينة حتى الجامع المنصوري الكبير ، حيث استمع الناس الى السيرة النبوية الشريفة ، وبعد اتمام فريضة العشاء سار الموكب مخترقاً الشوارع حتى حي التل ، حيث اقيم المهرجان تحت قبة النصر الممتدة من بنك دي روما الى مخفر شرطة التل على عرض الشارع ، فوقف افراد الكشاف في المقدمة ففرقة الرياضة والادب ، فموسيقى جمعية الاعمال الخيرية بالاسكلة ، فموسيقى جمعية التعاون الخيري ، وهنا اخذت الموسيقى تصدح ، والاناشيد الوطنية والتحيات والهتاف تشق اصداؤها الفضاء ، اما الاسهم النارية فكانت تخترق عباب الجو تخط سطور النور في تلك الصفحة الغير المتناهية .

وتدفق الناس في اليوم الثاني الى الجامع الكبير ، فكان الازدحام في داخله شديداً ، حتى اضطر الوفاً الى البقاء في الخارج ، وبعد الانتهاء من الصلاة وقف

حضرة الوطني الغيور الشيخ فائق الجمالي فالقى خطبة تناسب المقام، وتلاه حضرة الدكتور فخر الدين امانة الله، فالاديب رشيد الشهال فالشيخ علي العشي. ثم سار موكب الجمعيات في الفيحاء من طريق واصحاب الطرق من طريق آخر والتقى الموكبان في بيت الامة، حيث خف الشباب الوطني يتقدمه سماحة الزعيم الكريم عبدالحميد كرامي لاستقبال الجموع، فامتلأ القصر وحديقته الفسيحة بجمع لا يقل عدده عن العشرة آلاف نسمة، وبعد ان وزعت اكواب المرطبات انبرى الوطني الصميم الاستاذ تحسين افندي الثمين والقى خطاباً بليغاً اوضح فيه الرموز الخالدة التي يرمز اليها هذا اليوم العظيم بفصاحة وبلاغة رائعتين ثم القى حضرة الاستاذ علي ناصر الدين كلمة سيالة بالابداع فياضة بالغيرة والوطنية.

وارتفعت اصوات الشباب تطلب الى الزعيم ان يتكلم، واحتملوه على اكفهم، ورفعوه الى ما فوق الرؤوس، وما ان اشار بيده حتى ساد السكون وتطاولت الاعناق، وانشغل المصورون بالتقاط تلك المشاهد الرائعة، ثم اخذ الزعيم يتكلم، فكانت كلماته آيات بينات من الاخلاص والوطنية والتضحية وانقضت ساعة كاملة وما تجد غير طالب في المزيد.

وتفرقت تلك الجموع الطروبة الهادئة الى اكمال افراحها؛ وكلها معتصم بالسكون، مما اثبت ان طرابلس مدينة هادئة غير مشاغبة واهلها غير مشوشين وانقضت ايام العيد بدون حادث مكدر فاستحق الشعب الطرابلسي الكريم كل تهنئة وكل ثناء.

الى اعوام عديدة ايها الاخوان المسلمون والى ايام سعادة ورفاه ايها الطرابلسيون الاكارم.

٤ تموز سنة ١٩٣٢

قاديشا بين الاصلاح والهدم

ليس من ينتقد ليصلح ، كمن يظهر المعائب ليتشفى وينتقم ، فالاول حسن النية يسعى للبناء ، والثاني خبيث القلب يعمل للهدم .

ومهما قسا المصلح في بضع الجرح وآلم ، فهو انما يجد في اجتثاث العلة قبل تفاقمها لكي ينفي عن العزيز الذي يعالجه ، بالالم العاجل ، الآلام المبرحة التي تهدد كيانه ، وتدنيه من موارد العطب والهلاك .

وما حملة « الصباح » الغراء ، على ادارة شركة قاديشا الكهربائية ، وصاحبها من مساهمي الشركة الا من هذا القبيل ، لان من كان كالاستاذ غنطوس في وطنيته وغيرته وجرأته ، فهو جد بعيد عن ان يكون آلة بيد غريبة تحركه لمحاربة شركة وطنية قائمة على سواعد اشبال الشمال الاشاوس ، ليفت في عضدهم ويوهن من عزيمتهم ويدخل اليأس الى قلوبهم فيرتمون في احضان شركة الجر والتنوير الناظرة شزراً الى شركة قاديشا مترقبة الفرصة السانحة للانقضاض عليها وتمزيقها شر ممزق .

اما وقد اراد بعض سماسرة الاستعمار ودعاته اغتنام هذه الحملة البريئة لترويج دعايتهم ونفث سمومهم فان الزميلة الحصيفة ستقف عند هذا الحد لكي لا نكون كالناحر نفسه امام قوم يتفرجون علينا هازئين بآلامنا ، شامتين بضعفنا وذلنا ، و« الصباح » لم تكن يوماً ولن تكون ابداً ، معولا في يد الغريب يقوض به كرامتنا وسيفاً في قبضته يحز رؤوسنا .

الشركة الوحيدة التي لا تمتد للاجنبي فيها اصبع ولا يسيطر عليها مستعمر هي شركة قاديشا .

الفكرة وطنية والمؤسسون وطنيون ورأس المال وطني والعمال وطنيون ،

فلا عجب ان تمدها الشركات الاجنبية الباسطة لواء نفوذها في هذه البلاد، شظى في حلقها وقذى في عينها؛ تسمى السعي الحثيث للاجهاز عليها حتى لا يكون في البلاد غير جيبها منتفخباً؛ وسوى صوتها مرتفعاً؛ والا قولها مسموعاً.

ان الصعوبات التي اعترضت هذه الشركة الوطنية البحتة؛ منذ ان كانت في ضمير موجديها حتى اليوم، والمؤامرات التي حيكت وتحاك لها حتى الساعة عظيمة تكاد لولا صدق عزيمة المضطلعين بمسؤولياتها القائمين باعبائها؛ ان تقضي على حياتها وتزيحها من الطريق؛ ولكن الايمان الراسخ الذي تخفق به قلوب عمدة قاديشا؛ يقف حجر عثرة في سبيل الطامعين ودرعاً منيعاً دون سهامهم المسمومة.

واذا كان الناس قد لجأوا بحق الى مقاطعة شركة الجر والتنوير في بيروت احتجاجاً على ارتفاع اسعارها وتعنتها في فرض ارادتها على الشعب، فما هو الدافع الذي يبرر تفكير بعضهم في اعلان المقاطعة ضد شركة قاديشا التي وهي وليدة سنتين او ثلاث؛ تقدم من التضحيات وتبدي من التساهل ما لا تنصاع لمثله ولو قسراً؛ شركة الجر والتنوير التي اربت مدة استثمارها للبلاد وحلبها لجيوب العباد على النصف قرن.

تدار محركات شركة الجر والتنوير على الماء ومثلها محركات قاديشا، ولكن الاولى تبيع الكيلوات الواحد بخمسة عشر غرشاً سورياً وهذا بعد مقاومة سنين ومقاطعة شهور، وتتقاضى الثانية اثني عشر غرشاً سورياً من تلقاء ذاتها وبمطلق ارادتها.

لقد كان من واجب الاولى ان تتساهل بالثمن اكثر لان ارباحها اوفر اذ ان مشتركيها يربون على المائتي الف بينما مشتركو الثانية لا يزيدون عن الالفين؛ وتقبض الاولى من بلدية بيروت وحدها اكثر مما تتناول الثانية

من بلديتي طرابلس والاسكلة وشركة الترابة اللبنانية وسواها من المؤسسات .

ان الجهود الجبارة التي يبذلها من بيدهم امر قاديشا ، جديرة بالذكر الجميل فهم ما زالوا دائبين ليلاً نهاراً في سبيل صيانة المشروع الذي يتولون حراسته خوفاً من ان يخفق فتنهدم الآمال العظيمة المعقودة عليه ، وتتلاشى احلام المتفائلين برجوع ابناء لبنان المهاجرين الى وطنهم لاستثمار اموالهم في مثل هذا المشروع النافع اذ يفتحون امام شباب الوطن ابواب العمل ويشقون لهم طريق الرزق الحلال ؛ ويجتنون هم بدورهم الارباح التي يجتني اضعافها الغرباء .

ومما يسر القلب ويشرح الخاطر ان طرابلس التي هي بحق معقل الوطنية الصحيحة هبت دفعة واحدة لاعلان ثقتها بقاديشا وتأييدها لها لانها تخاف عليها ان تقع فريسة سائغـة بين اشداق الشركات الاستعمارية وطرابلس الحرة تأبى ذلك كما تأباه كل من تجري في عروقه دماء الشرف وحب الاستقلال .

واذا كان لادارة قاديشا بعض تقصيرات طفيفة او تهاون غير مقصود فان لها من تضحياتها الجمة وسهرها الدائم على خدمة الوطن وتأمين مصلحة المساهمين منتهى الفخر وكل الشرف .

ان مشروع قاديشا حي لا يموت مهما اعتوره من المصاعب ودهاه من المحن ؛ ما زال ذلك النبع السيـال المقدس المنبثق من سفح جبل الارز الخالد يتدفق تدفق الجد والاقدام والتضحية من صدور حماة قاديشا الامناء وابطالها القساور .

٨ ايلول سنة ١٩٣٢

ذكرى سيدة فاضلة

في مثل هذا الشهر من العام الفائت ، فقدت الكوره سيدة من فضليات سيداتها ؛ ومحسنة في مقدمة محسناتها ، الا وهي الطيبة الذكر ؛ المرحومة هيلانه قرينة حضرة الوجيه السيد اسكندر الخوري انفه . قضت بغتة في اليوم السادس والعشرين من شهر ايار سنة ١٩٣٠ فكان لمنعاها رنة حزن عميق في النفوس ؛ واقيمت لها مناحة عظيمة ؛ تقاطرت للاشتراك فيها الوفود من جميع انحاء الكوره وطرابلس والبلاد المجاورة ؛ واحتفل بتشييع جثمانها احتفالا مهيباً مشت فيه الاعيان والادباء وجماهير الشعب ، وتليت التآبين والمراثي ، معددة مناقب الفقيدة الغراء وصفاتها العالية ، وقد قلنا يومئذ كلمة في رثائها نثبتها فيما يلي اجلالا لذكرى الفقيدة الغالية :

الابتسامة الحلوة التي كانت تستقبل بها مواكب الحياة ، ما زالت مرتسمة على شفتيها النقيتين وهي سائرة في طريق القبر .

والقلب الكبير الذي كانت تتفجر من نبضاته ينابيع الاخلاص والشفقة والحنان ، ما برحت تنبعث من سكناته اروع النغمات .

واليد البيضاء التي كانت تنبسط للعطاء والاحسان واقالة العثرات ؛ ما زالت تفوح من قبضتها اطيب النفحات .

والنفس العالية التي كان يضيق بها صدرها على رحبه قد تملصت من قيود اسرها لتعانق الخلود وتنعم في فردوسه مخلفة لنا اجمل الذكريات .

اي موجع بكى ولم تخفّ لمسح دموعه وتبريد غليله ؟

اي مفجوع شكا ولم تهرع لمؤاساته وتضميد جراحات قلبه ؟

اي معوز سألِ ولم تبادر الى ملء كفه وتفريج ضيقه ؟

اي صديق لم تحفظ له حق الوفاء ؟

اي ضيف لم تحله على الرحب والسعة ؟

اي غريب لم يكن الى عطفها نسيباً والى نيلها قريباً ؟

عنوان الفضيلة ومكارم الاخلاق ، مثال الوداعة والتواضع والصفح ؛ قدوة المرأة الكاملة ، كانت الفقيدة الكريمة . فاذا ما بكيناها فلأن الفجيعة بموتها موجعة ، ولان الخسارة بفقدها جليلة ؛ ولان القلوب الحفية بحبها وعرفان قدرها قد فقدت صبرها وعز عليها العزاء .

ان في مصر قلوباً تهفو اليها وتتعلل بقرب لقائها ؛ وتلك الابنة البارة التي تنتظر من يوم الى يوم ومن ساعة الى ساعة بشرى وصول الوالدة الحنونة ، الوالدة التي لا تعيش لنفسها بل لغيرها ، قد فوجئت بنعيها فيا لخيبة الامل ويا لعظم المصاب .

لقد انطفأ نور هاتين العينين ؛ قبل ان تكتحلا بمشاهدة سلوى وزوجها وبنيها .

لقد انعقد هذا اللسان العفيف ؛ قبل ان يتفوه بكلمات الوداع الى رفيق حياتها وشقيق روحها .

ها هو زكن احب الاحباء الى قلبها ، قد اقبل ليودعها لانها ماضية ولكن لا الى مقر الاحباب ، حيث تسبغ النعمة ظلها الوارف ، بل الى حيث لا يراها احد

وها الجموع ؛ جموع المحبين العارفين لفضلها ، المقدرين لمنزلتها ، يحتشدون من كل ناحية ، ليشيعوا جثمانها الطاهر الى عتبة الضريح .

ما رضي الموت عنها بديلا ولا اقتبل فداء ، اذن لا رخصت في سبيلها دماء القلوب ؛ وبذلت دونها الارواح .

يتساوى الناس بالموت ولكنهم يختلفون بالاثر ؛ فمن كان صافي السريرة عالي المناقب منكراً لذاته ؛ نافعاً لغيره كان له في الحياة اطيب اثر واعطر ذكر

ان فقيدتنا الغالية ، وان ماتت بالجسد ؛ فهي حية بالروح ؛ حية بمآتيها واعمالها

المبرورة حية بكل حسنة ؛ وخالدة بكل فضيلة .

رحم الله تلك النفس الرضية ومتعها برحمته ونعيمه ؛ وسكب في نفوس المفجوعين بها المتاعين عليها ؛ قطرات العزاء والسلوى .

٢٦ ايار سنة ١٩٣١

جمعية الاقتصاد الصناعي في الاسكلة

للجمعيات والنقابات فوائد جمة ومنافع وفيرة ؛ لا يمكن جحودها ولا يستطاع نكرانها ؛ لانها تبث روح التعاون بين افرادها وتقوي رابطة الالفة فيما بينهم ؛ وتشدد عزائم المنضمين اليها على ما فيه خير ونفع لذواتهم ؛ وتحضهم على بذل شيء من جهودهم وقواهم لخدمة الآخرين ؛ وفي ذلك ما فيه من التضامن المثمر والتكاتف المنتج .

ومن احرى الجميات بالتنشيط والتغبيط ؛ جمعيات الشبيبة الناهضة التي تحتدم بعزم الفتوة ؛ وتكمل باختبارات الرجال الذين عركهم الدهر وعركوه ، وتشبعوا بالدروس العملية والمعارف الحكيمة . وفي مقدمة هذه الجمعيات ، جمعية الاقتصاد الصناعي في الاسكلة التي تلهج الالسن بذكر مباديها ، وتعجب بجميل تصرفاتها ؛ وشريف مآتيها ؛ كما تذكر بالخير القائمين على ادارة شؤونها وتسيير دفة اعمالها .

تأسست هذه الجمعية قبل الحرب العمومية بهمة حضرة الوجيه الفاضل السيد نقولا نيني والد حضرة الجراح الكبير الدكتور وهيب افندي صاحب المستشفى الشهير في الاسكلة ، وحضرة طبيب الاسنان الماهر الدكتور اديب افندي صاحب المستوصف المعروف فيها .

ولقد تهافت الشبان من جميع طبقاتهم على الانخراط في سلك الجمعية ؛ حتى

باتت تضم نحواً من ستماية شاب في عضويتها . غير ان الحرب الكبرى القاسية ، اجهزت عليها فتلاشت الى ما بعدها ؛ حيث بعثت من جديد الى حيز الوجود ، فعادت الى ماضي ازدهارها وسالف جهادها ؛ واخذت تعمل بنشاط وغيرة ، للعودة الى ما كانت عليه من القوة والتوسع ، ففازت فوزاً اكيداً ، جعلنا ننظر لها اليوم بعداد الفخر والسرور اعجابنا وتقديرنا .

ان غرض الجمعية ادبي اجتماعي بحت ؛ لا دخل لها بالسياسة او الحزبية بتاتاً وانما جل قصدها ان توحد قلوب اعضائها على بغض الرذائل والابتعاد عن الدنايا ، وبالوقت ذاته تحضهم على اعتناق الفضائل وتدعوهم الى التآخي والمصافاة ؛ وهي تسعى لازالة كل خلاف قد ينجم بين اعضائها او بين الآخرين الذين يميلون الى الهدوء ويجنحون الى حب السلام ، كما انها تحسن الى المحتاجين وتساعد الضعفاء .

وللجمعية ناد خاص ومكتبة لا بأس بها ، يجتمع اليها الاعضاء للمطالعة واكتساب الفوائد الادبية .

وقد اخذ الشبان الادباء في المدة الاخيرة يتسارعون للانضمام الى اعضائها ؛ والدخول الى حظيرتها ؛ مما زادها قوة ونشاطاً .

اننا نهنيء هذه الجمعية الزاهرة بما بلغت اليه من علو الشأن ؛ كما نثني على حضرة رئيسها الفاضل ، الذي لا يألو جهداً في سبيل خدمتها الخدمة النصوح ، داعين للجمعية بدوام التقدم والازدهار ، ولاعضائها العاملين في حقلها النجاح والتوفيق .

الكلية الوطنية في طرابلس

مضى على الفيحاء ردح من الزمن غير وجيز ؛ وهي تعتمد في تثقيف ابنائها واعداد ناشئتها على المدارس الاجنبية ، فكان شبانها برغم الاموال التي يدفعونها ؛ يستجدون العلم من تلك المعاهد استجداء . حتى اذا استيقظت العقول ، واحست النفوس بوطأة التحكم الذي يعانيه الطلاب ، وشعرت بالخطر المحدق بهم من قتل الشعور القومي والاحساس الوطني فيهم ؛ هب رهط كريم من نخبة رجالها ادباً وفضلا ووطنية ، وتعاونوا على العمل المثمر ، فكانت الكلية الوطنيـة من ثمار هذا السعي المبارك ؛ وها هي ؛ ولم ينقض بعد على انشائهـا سنوات ثلاث ، تسير مع ارقى الكليات واقدمها ؛ جنبـاً الى جنب ، بل وتكاد تبزها وتتفوق عليها .

لا نكران ان القيام باعباء مشروع كهذا ؛ في محيط زاخر بالتزاحم والتنافس ليفتقر الى جهود جبارة وجد متواصل وتضحية جمة ؛ ولقد توفرت في الرجال المضطلعين بمسؤولياته جميع هذه العناصر ؛ فكان النجاح حليفهم والتوفيق من خدامهم .

مهما ادت المعاهد الاجنبية من الخدمات العلمية ومنحتنا من التقدم العقلي والادبي فهي تظل ابداً عاجزة عمداً او تقصيراً ، عن احياء الروح الحرة والنشأة الاستقلالية ، التي تحييها فينا المدارس الوطنية وتذكي نارها . ان المدارس الوطنية هي حجر الاساس الذي يرتكز عليه استقلال الامـة ، اذ لا يتسنى لشعب ما ان ينال حريته السياسية ؛ قبل ان تتحرر عقول ابنـائه من عبودية التقليد ، وتتخلص نفوسهم من قيود الاسر والخنوع ، وهذا لا يكون الا بتلقين الناشئة

دروس الوطنية مع دروس الآداب والفنون .

وللكلية بنايات ضخمة في اجمل موقع ؛ تتوفر فيه جميع اسباب الصحة والراحة ، وهي مجهزة بجميع اللوازم التي يقتضيها التدريس ويتطلبها التجريب العملي ؛ ولها ملاعب فسيحة جامعة لكل صنوف الرياضة البدنية ؛ فهي تعني بتنشيط ابدان الطلاب وتقوية اجسامهم ؛ عنايتها في تغذية عقولهم بالعلوم والآداب الصحيحة ؛ وتنمية روح الوطنية الحقة في نفوسهم .

ان عموم ابناء البلد يعطفون على هذا المشروع الجبار ؛ ويتكاتفون على اغاثه وتعضيده ؛ ليبلغ الى اعلى القمة التي يسير اليها حثيثاً بعناية الله وهمة رجاله .

اننا نسطر بملء الفخر والسرور ؛ عبارات الاعجاب بهذا المعهد الراقي ؛ داعين له بالنمو المطرد ؛ والازدهار المستمر ، ليتألق كوكباً ساطعاً في سماء الثقافة والوطنية .

خفافيش البشر

الخفافيش تهوى الظلمة لان النور يؤذيها ؛ فهي لا تبسط اجنحتها للتحويم ، الا متى ارخى الليل سدوله .

وفي الناس نفر ؛ لا يطمئنون للسير على وضح النهار ؛ ولا يرتاحون لغير الدبيب تحت ستار الدجى ، ليكونوا في مأمن من مجابهة الغير وجهاً لوجه .

اذا كانت الحقيقة نوراً باهراً ، افلا يكون الباطل ظلاماً دامساً تتخبط فيه النفوس الصغيرة ؟

في هذه البلاد فئة سقيمة المبادئ ، ملتوية الغايات ؛ تكيد في الخفاء ؛ وتنسج في السر للرجال الاحرار ؛ برد الوشاية والثلب ؛ انتقاماً وتشفياً ؛ وما ذلك الا لان الجبن المقترن بطبيعتهم الحقيرة ، ينحط بهم الى اسفل الدركات الاجتماعية والحزبية ايضاً ......

الحر لا يخاف ان يخاصم على عينك يا تاجر.. ولا يخشى ان يناضل عن عقيدته ومباديه علانية ؛ ولا يرهب ان يضرب اخصامه الضربة التي تهلع لها قلوبهم ، جهاراً.

واما خفافيش البشر ، فانهم يلجؤون الى حوك الدسائس ونصب الحبائل ، بعيداً عن العيون ؛ لئلا يفتضح امرهم امام صاحب اليد التي يقبلونها بصغارة وخنوع ؛ بينما يحاولون ان يصموه بما فيهم من العيوب والنقائص.

من اراد ان يكون نافذاً بارزاً ؛ لا يجب ان ينزوي في الاقبية العفنة.

ومن اراد ان يسحق عدوه ؛ ينبغي ان يقارعه امام كل الناس ؛ ليكون له شرف النصر اذا فاز ؛ وفخر الجهاد اذا خذل.

مثل هؤلاء الخفافيش ؛ لا يريدون ان يكون لهم اعداء ؛ بينما يعادون في سرهم جميع الناس.

والاعداء ضروريون كالاصدقاء ؛ فمن لا اعداء له لا اصحاب له.

المرائي والمخادع والمتدلس ، يعيشون بلا اعداء ظاهراً ؛ ولكنهم بغير اصحاب حقيقة ،

اما الرجل الصريح ، الذي يقول للاعور انت اعور ؛ وللشرير انت شرير ، وللمرتكب انت مرتكب ، فلا يسلم من معاداة الاعور والشرير والمرتكب.

ولا عجب اذا تهافت اعداؤه وهم عور واشرار ومرتكبون للدأب على حط كرامته ؛ بمختلف الوسائل. ولكن الا يعد فائزاً ؛ الرجل الذي لا يجرؤ اعداؤه على الظهور امامه ؟ افلا يعد منتصراً ، الرجل الذي لا يتجاسر مناوؤوه ان يكشفوا عن اسمائهم ، لكي ينجوا من لعنة الناس واحتقارهم ؛ افلا يحق ان يضفر لمثل هذا الرجل اكليل الغلبة ، وان تنشد له اناشيد الظفر ؟

والخفافيش ؛ الدويبات الحقيرة الا يجب ان تداس ؟

الاشياء بجوهرها

استلقى صياد يوماً ، تحت ظل شجرة سنديان باسقة ، واجال نظره في فضاء تلك السنديانة الكثة الاغصان ، الكثيرة الفروع ، فوجدها مع قوتها وصلابتها وعظمتها ، لا تحمل سوى اثمار صغيرة ، هي تلك الثمار المتحصنة في قموعها تحصناً شديداً .

وانزل الصياد انظاره من عل ، واجالها فيما حوله ، فشاهد نبتة يقطين تنساب على الارض بكل تواضع ، وهي تحمل بعض يقطينات تزن كل واحدة منها لا اقل من ثلاثة ارطال . .

ضحك الصياد ساخراً وقال في نفسه ، اسنديانة جبارة كهذه تثمر ثمراً حقيراً ، ويقطينة لا تقوى على رفع رأسها الى الفضاء ، تثمر هذه الثمرات الكبيرة ؟ وما هي الحكمة من هذا التفاوت في الانتاج ؟

ولم تتلاش هذه البارقة من فكره ، حتى سقطت بلوطة على انفه فآلمته . عندئذ اعتبر وقال لو كانت البلوطة يقطينة لهشمت انفي تهشيما . . .

وفي الناس من نراه كبيراً في جسمه ، وعظيما في مظاهره ، ودعياً في اصله وفصله ، فنجزع ان لا يكون صاحب حول وطول ، ورب نفوذ وسلطان ، حتى اذا بدرت له اقل بادرة ، كشف عن حقيقة ما في نفسه من الصغارة ، وفي رأسه من البله . . . ليست المظاهر والالقاب دائماً تنبي عن حقيقة الرجال ، بل الاعمال وحدها هي الرجل . .

لا يجب ان ننخدع بالظواهر ولا ان نتفلسف على ربنا . . .

الصدق والكذب يستحمان

ذهب الصدق والكذب مرة الى شاطىء البحر ليستحما . فخلعا ثيابهما وغاصا في المياه ؛ وطاب لهما الاغتسال ؛ فسرا سروراً عظيما بمداعبة الامواج اللطيفة . ولكن الكذب غافل رفيقه الصدق ، وسارع الى ثيابه فلبسها ؛ والى رداء الصدق فارتداه من فوقها وذهب في سبيله . وطال تفتيش الصدق عن ردائه فلم يجده ؛ لان الكذب قد سرقه . فاضطر ان يذهب بين الناس عارياً . وهكذا انخدع الناس بالظواهر ؛ فاكرموا الكذب واحتقروا الصدق . وما زالت حتى اليوم سوق الكذب رائجة ؛ وبضاعته نافقة . واما الصدق فسبيله غير مسلوك الا من افراد قلائل ؛ ووجهه غير محبوب الا لدى نفر معدود

لا اعرف اذا كان من دواعي الفخر ، او من موجبات اليأس ان يكون للمرء اعداء كثيرون ؛ لا يهتدي الى مصانعتهم ؛ او التدليس لهم ؛ والتلبس بلباس الصداقة امامهم ، فيصيبه ما اصاب الصدق بعد الحمام . . ولكني اثق ان بعض الناس كذابون ، يخدعون اعداءهم فيرضون عنهم ؛ ويتلمسون خدمات اصحابهم بواسطة نفاقهم فيندفع الاصحاب لمؤازرتهم ، وهم مأخوذون بالظواهر البراقة التي هي اشبه بثياب الكذب بعد الحمام . . .

الذي يعرف اعداءه يتوقى شرهم على قدر الامكان ؛ اما الخوف الاعظم فمن الصديق الذي يعمل في السر على نكاية صديقه ويغدر به ، ثم لا يخجل ان يتبجح امام صديقه المغدور ، وامام القوم الصادقين ، باحترامه للصداقة ، ومحافظته على المبدأ ، وما كان يوماً الا افاكا مضللا .

افضل ان ابقى عارياً من ان اتزيا بزي غيري .

اذنـــاب بشريـــة

في اعالي جبال الفليبين ، جيل من الناس يختلف عن بقية الناس بان لافراده اذناباً . . .

هذا امر غريب ولكنه واقعي . وقد نشرت « اللطائف » المصرية صورتين لشخصين من اولئك الحيوانات البشرية بذنبيهما البارزين .

عجيب ان يكون للانسان ذنب ، ولكن الاعجب ان يكون الانسان نفسه ذنباً . . .

وبعد افلا يوجد في المجتمع كثير من الاذناب ؟

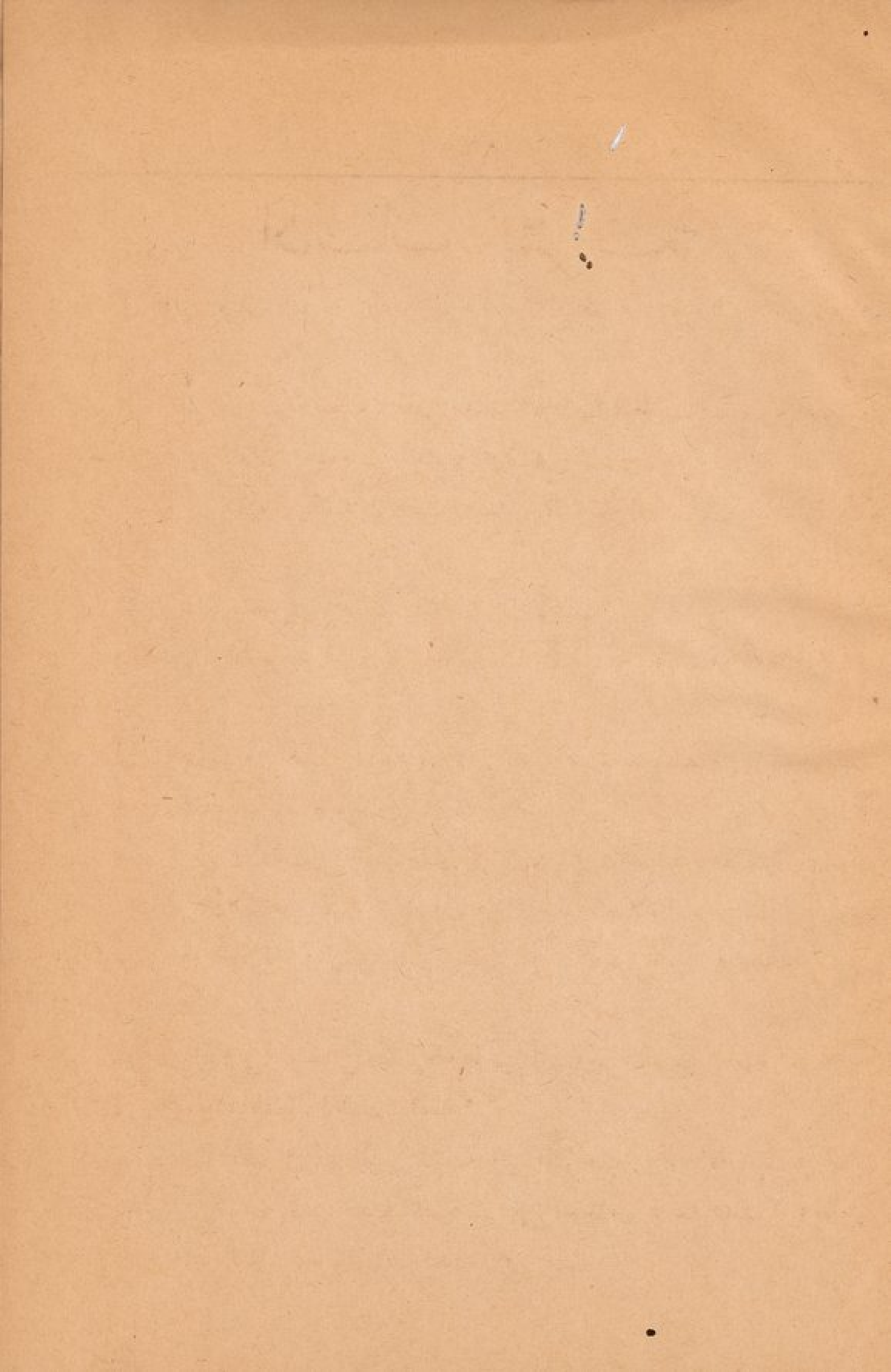
وبالاحرى الا يوجد في اكثر الهيئات الرسمية وغير الرسمية ، اعضاء هم في حقيقتهم اذناب ؟

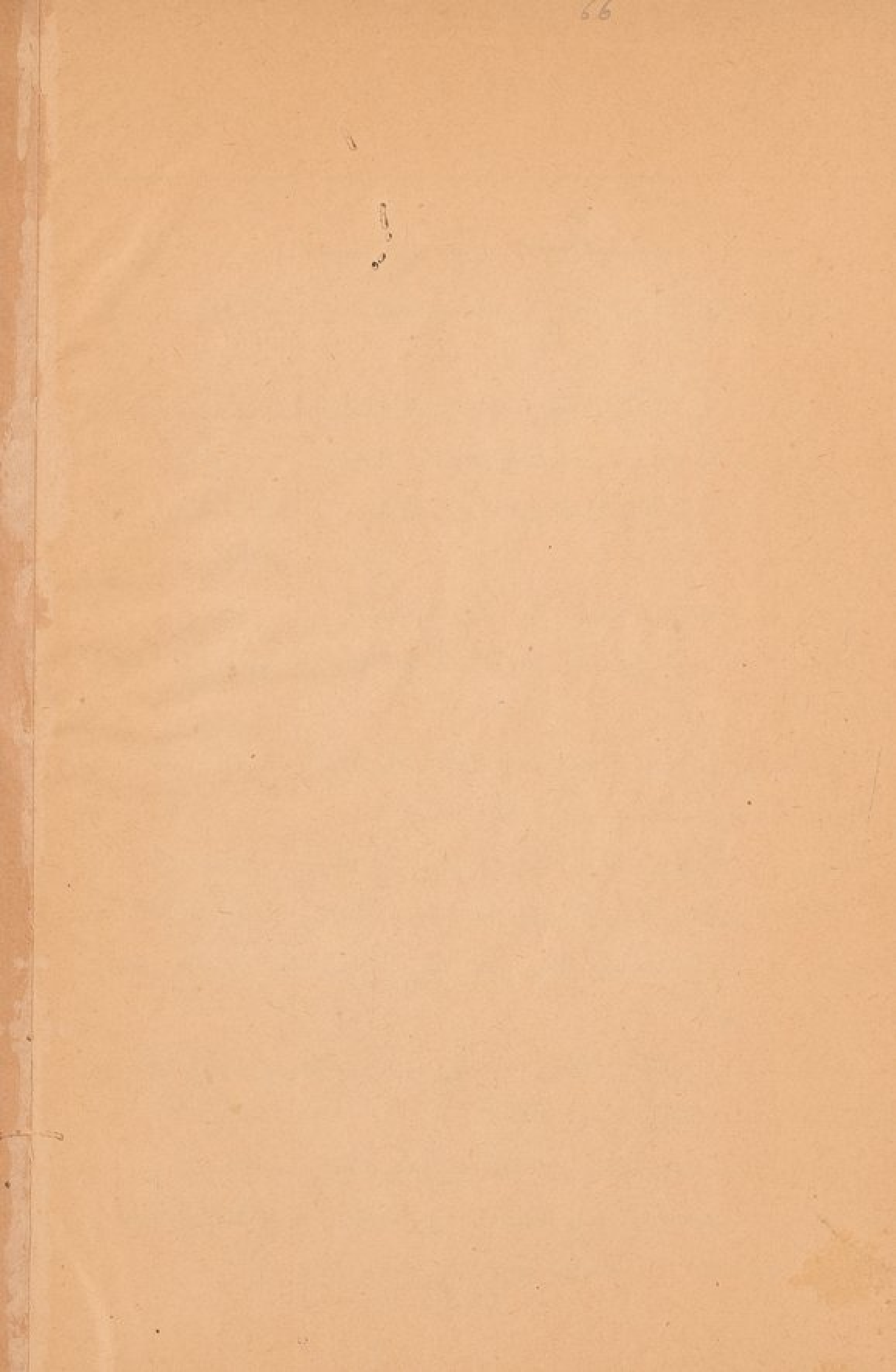
ان الاذناب في الفليبين قصيرة ، لا تتجاوز الخمسة عشر سنتمتراً ، اما الاذناب في هذه البلاد فانها تستطيل حتى (تفرط الجوز) .

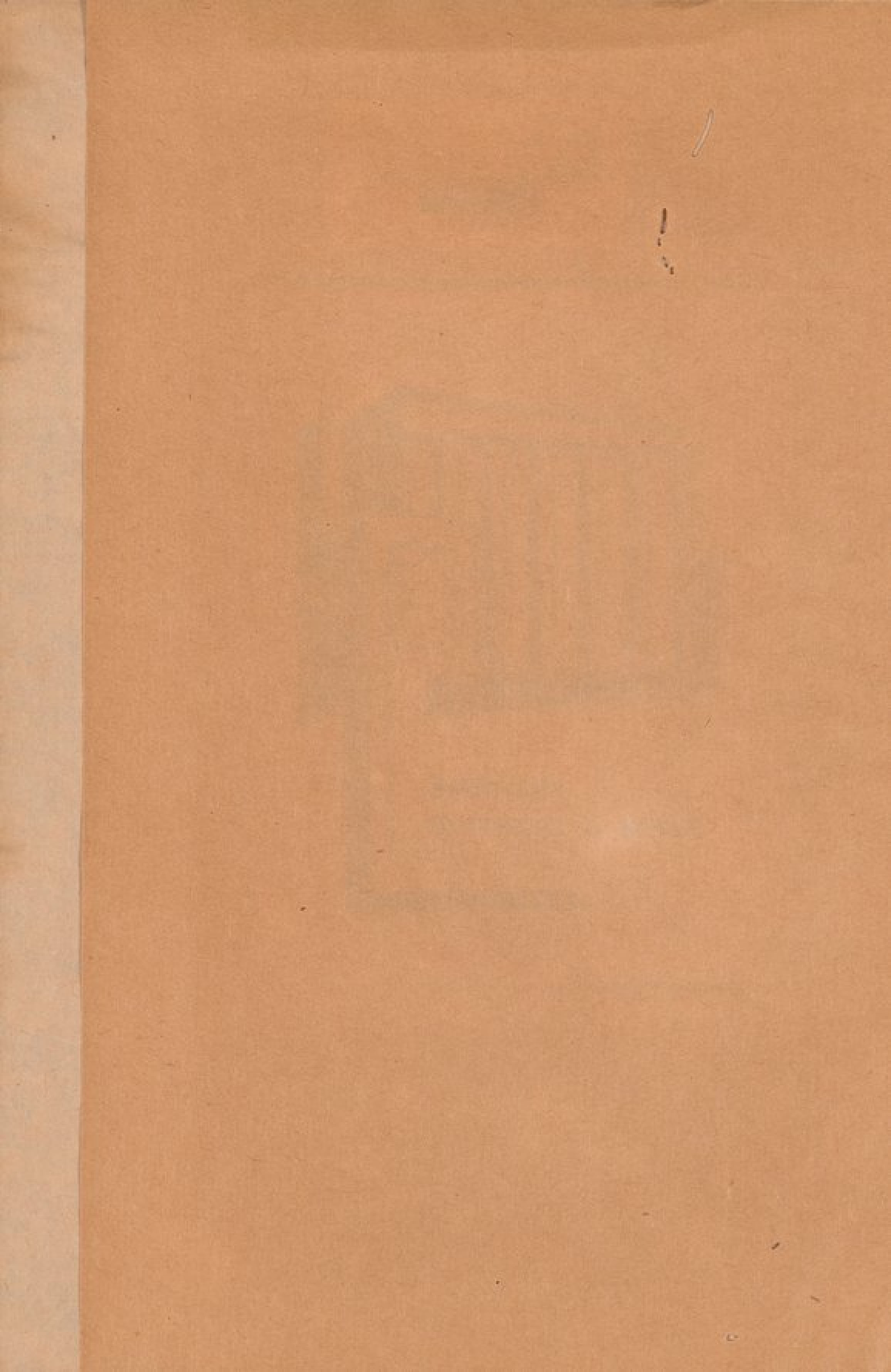
اوليس من الاذناب ، المأمور الذي لا يفهم من المأمورية ومقتضياتها سوى قبض المعاش ، والكاهن الذي لا يعرف من المعبد والصلاة ، سوى تناول الرسوم وامتصاص دم الفقراء ، والرجل الذي يعيش على اكتاف الغير فيستحل طعامهم ويستمريء شرابهم ؟

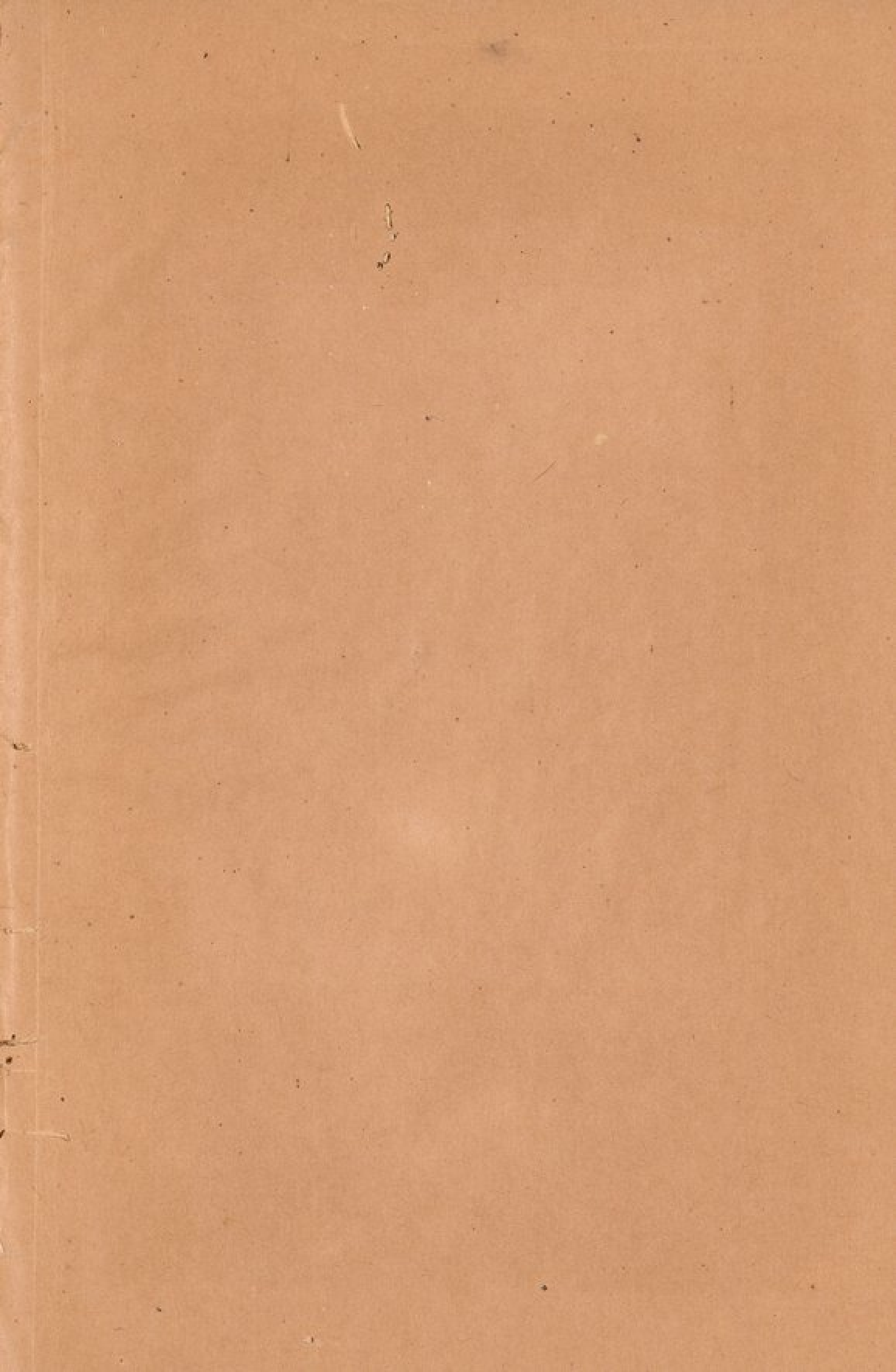
الموظف المرتشي ، والمحامي المخاتل ، والوطني المساوم ، والصحفي المضلل ، والتاجر الغشاش ، والعامل البطال ، اليسوا اذناباً ؟

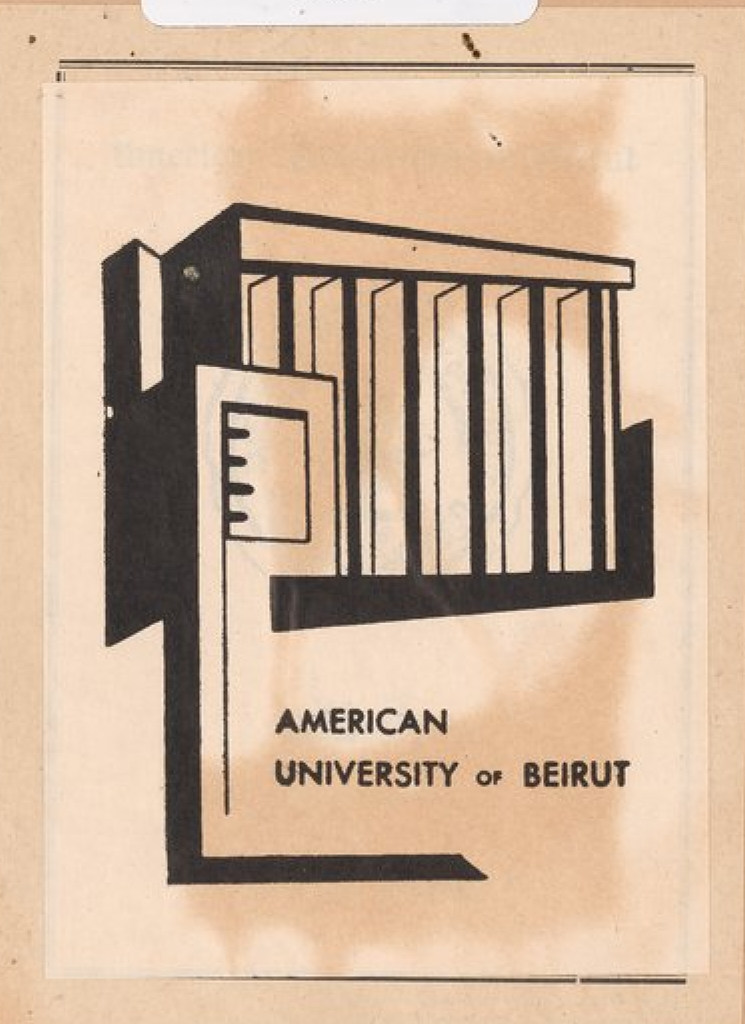
تنحصر الاذناب فى الفليبين ، بفئة من المتوحشين . اما الاذناب في سائر اقطار المعمور ، فموجودة في جميع الطبقات على اختلاف درجة تمدنها وثقافتها وعندنا في هذه البلاد مع الاسف عدد وافر منها .










AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT